الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الدكتور مولاي الطاهر سعيدة
كلية الآداب واللغات والفنون
قسم اللغة والأدب العربي
شعبة: دراسات لغوية
تخصص: لسانيات الخطاب

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر موسومة بعنوان:

مظاهر الحجاج في التراث العربي القديم "نظرية النظم نموذجا"

إعداد الطالبة :
حيدار رشيدة

تحت إشراف:
أ.د حاكم عمارية

لجنة المناقشة

أ.د	جيلالي زحاف	أستاذ التعليم العالي والبحث العلمي جامعة سعيدة	رئيسا
أ.د	عمارية حاكم	أستاذ التعليم العالي والبحث العلمي جامعة سعيدة	مشرفا ومقررا
د	كريمة زهرة بن ضياف	أستاذة محاضرة "أ" جامعة سعيدة	مناقشا

الموسم الجامعي 1442-1443 هـ/ 2020-2021 م

شكر وعرفان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وسيّد المرسلين

الحمد لله حبا ،الحمد لله شكرا

الحمد لله رجاء وطاعة

الحمد لله دائما وأبدا

أتقدم بأسمى آيات الاحترام والتقدير إلى أستاذتي المشرفة الأستاذة الدكتورة

"حاكم عمارية" التي لم تبخل علي بخبرتها وتوجيهاتها السديدة في سبيل إتمام هذا البحث.

وشكري الجزيل للجنة المناقشة التي ستتجشّم عناء القراءة والنظر

الأستاذ الدكتور زحاف جيلالي والدكتورة بن ضياف زهرة كريمة.

الباحثة: حيدار رشيدة

إهداء خاص

أهدي ثمرة جهدي إلى

من كان دوما سندي وعوني في الحياة وأنار لي طريق العلم والنجاح "أبي"

حفظه الله وأطال في عمره.

من كان وجودها حياة ودعاؤها نجاة وأقدامها جنة "أمي"

رعاها الله وأطال في عمرها.

وإلى رفيق دربي "حفيظ".

وإلى إخوتي: كمال، ضياء الحق وجليلة.

براعمي وقرّة عيني: مُحَمَّد عبد الإله، رانيا مريم وموسى كرم.

رشيـــــدة

مقدمة

يعد التواصل الإنساني وما ينطوي عليه من مقاصد ودلالات من المباحث التي شغلت الدراسات اللغوية القديمة، وشكّلت اللغة على الدوام موضوعا رحبا لطالما لفت انتباه الإنسان وأثار اهتمامه، فسعى إلى دراسته والاستقصاء عن ماهيته وطبيعته.

وإذا ما اطّلعنا على تراثنا البلاغي القديم وجدناه يزخر بمخزون معرفي وثقافي؛ حيث أسهم العلماء البلاغيون في دراسة اللغة العربية ووصفها وبيان خصائصها ،وأولوا المعاني عناية فائقة لما لها من دور في نقل الأفكار وتبليغها إلى الغير في شكل رسائل مشفّرة تستدعي عمق النظر والتحليل للظفر بالدلالة المقصودة من الخطاب.

وقد كان المتكلم في سعيه إلى إقناع المتلقي وجعله يتأثر بفحوى خطابه يلجأ إلى الحجاج كعلاقة تواصلية ناجعة لإيضاح الحقائق وتقريب وجهات النظر، وهو ما يعد من صميم التحليل التداولي الحديث الذي جاء ليعالج في جوهره النشاط اللغوي أثناء استعماله في مختلف المقامات، مراعيا المقاصد الإبلاغية وكيفية تشكل المعاني في نفس المخاطِب ليتم نقلها إلى المخاطَب.

كما اهتم المنهج التداولي بإفراز مجموعة من القضايا المختلفة مثل أفعال الكلام والقصدية والحجاج الذي أصبح يمثل حلقة وصل بين البلاغة والتداولية؛ خاصة أنّ الخطاب الحجاجي يبحث وراء غاية النص والهدف منه ومدى تأثيره على المتخاطبين.

ولما كان البحث في مفهوم الحجاج البلاغي التداولي يمثل ميدانا خصبا ومطلبا حتميا في سائر العلوم والمجالات ،كونه ظاهرة ملازمة لكل تخاطباتنا، ارتأينا أن نسلّط بعض الأضواء عليه، محاولين تطبيقه على بعض القضايا البلاغية التي نظّر وقعّد لها العلامة الجليل عبد القاهر الجرجاني من خلال مدوّنته التراثية العريقة (دلائل الإعجاز).

إن الخصوصية الجوهرية التي امتاز بها هذا الموروث اللغوي من إقناع وتأثير واستمالة جعلت منه خطابا حجاجيا متكاملا، خاصة وأنّ الجرجاني نظر نظرة سخط إلى ما آل إليه حال النحو والبلاغة ،وعاب على الذين حصروا النظم القرآني في لفظه أو في معناه ،فراح يخاطبهم ويرسم لهم الطريق الصحيح معتمدا على نظرية النظم كمعيار سليم للكشف عن مواطن الإعجاز القرآني. ومن هنا جاءت هذه الدراسة موسومة ب:

{مظاهر الحجاج في التراث العربي القديم "نظرية النظم نموذجا"}

وقع اختيارنا على هذا الموضوع لشدّة تعلقنا بتراثنا العربي الأصيل ومدى إعجابنا بفكر الجرجاني الدقيق الذي أثمر نظرية تعد من صميم أبرز الدراسات البلاغية المعاصرة، ومن ثمة يمكن الاستفادة منها في فهم دلالات القرآن الكريم، وإدراك بلاغة اللغة العربية في كل زمان ومكان.

أما عن إشكالية الموضوع فتتمحور أساسا حول دعائم نظرية النظم ونظرة الجرجاني العميقة لأهم القضايا البلاغية من تقديم وتأخير وحذف وفصل ووصل، وما قدّمه من جهود كان لها الفضل في الانتقال بالبلاغة من جانبها الإبداعي إلى جانبها التداولي الحجاجي.

وقد تطلبت طبيعة البحث اتباع المنهج الوصفي في تبيان بعض القضايا التي وردت في نظرية النظم، واقتفى الجرجاني أثرها في الشعر العربي والنصوص القرآنية. ومن هنا قسّمنا هذا البحث إلى مقدمة ومدخل وفصلين وخاتمة.

كان المدخل بعنوان(الحجاج حدود ومفاهيم) حاولنا من خلاله طرح مفاهيم الحجاج في البلاغة العربية والدراسات الغربية، وتعرضنا في الفصل الأول إلى الجانب النظري من البحث مبرزين الأسس والأركان التي قامت عليها نظرية النظم، في حين أوقفنا الفصل الثاني على مناقشة قضايا التقديم والتأخير والحذف والفصل والوصل ،وما تحمله من آليات حجاجية استعان بها الجرجاني في إثبات صحة نظريته ونظمه ،لنصل أخيرا إلى جملة من النتائج المتحصل عليها في خاتمة.

وتنوعت المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها في إنجاز هذا البحث بتنوع المجالات التي يعالجها من حجاج بلاغي وتداولية، لعلّ أبرزها دلائل الإعجاز للجرجاني، الأصول البلاغية

في كتاب سيبويه وأثرها في البحث البلاغي لأحمد سعد مُحَمَّد، التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني لعبد الفتاح لاشين، استراتيجيات الخطاب للشهري عبد الهادي بن ظافر وغيرها، ورغم ذلك فقد اعترضتنا بعض العراقيل تتعلق بصعوبة التحليل في الجانب التطبيقي، ولكن على الرغم منها، فقد بذلنا قصارى جَهدنا حتى يكون البحث في مستوى تطلّعات اللجنة العلمية، وكذلك مستوى تطلّعات كل من سيقع هذا البحث بين يديه من طلبة باحثين، أو مجرّد متلق شغوف.

الباحثة: حيدار رشيدة

مدخـــل: الحجاج حدود ومفاهيم

* الدلالة اللغوية للحجاج

* الدلالة الاصطلاحية للحجاج

– عند العرب قديما وحديثا

– عند الغرب قديما وحديثا

الحجاج بعد جوهري في اللغة وميزة من ميزات التخاطب الإنساني الذي يستدعي التأثير والإقناع ،وهو الحجر الأساس لبناء الحوارات الموجهة التي تقوم على الافتراض المسبق والنقاش و الجدل والنقد.

إن توسع مفهوم الحجاج وتشعّبه أتاح له الغوص في جميع الحقول المعرفية، إذ أنه يتقاطع مع كثير من المجالات ويتداخل معها لاسيما الدراسات اللسانية التداولية وذلك من خلال أن الخطاب الحجاجي يختص بعرض الأدلة والبراهين وفق منظور منطقي، كما يراعي مقاصد المتكلم وأسلوبه في تحقيق إيصال أفكاره وآرائه إلى ذهن المتلقي.

1 – الدلالة اللغوية للحجاج:

الحجاج والمحاجة في اللغة من "حَاجَّ يُحَاجِجُ حِجَاجًا" وتشير لفظة الحجاج في معاجم اللغة العربية إلى معان كثيرة نذكر منها :

جاء في لسان العرب لابن منظور: "يقال حَاجَجْتُهُ، أُحَاجُّهُ حِجَاجًا وَمُحَاجَّةً حَتَّى حَجَجْتُهُ: أيْ غَلَبْتُهُ بِالحُجَجِ التِّي أَدْلَيْتُ بِهَا...ويُقال: حَاجَّهُ مُحَاجَّةً وَحِجَاجًا نَازَعَهُ الحُجَّةَ...ويقال أنا حَاجَجْتُهُ فأنا مُحَاجِّهِ وَحَجِيجِه، أيْ مُغالبُه بإظهَار الحُجَّةَ التي تعني

الدَّليل والبُرهان وقيل: الحُجَّة: ما دافع به الخصم، وقال الأزهري الحُجَّة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصُومَة وهُو رَجُلٌ مِحْجَاجٌ؛ أي جَدِلٌ وفي الحديث:(فحجَّ آدَم مُوسَى: أي غَلَبَهُ بالحُجَّةِ[1] "

وقد ورد في أساس البلاغة "حَاجَّ خَصْمَهُ فَحَجَّهُ، وَفُلَانٌ خصْمهُ مَحْجُوجٌ"[2]ومعنى مَحْجُوجٌ أي مغلُوب والشَّخص المتكلِّم الغالبُ المحَاجِجُ ، والسَّامِعُ المحَاجِجُ المغلوب ،أي أنّه اقتنع بحُجَّةِ المتكلم.

ويذهب صاحب القاموس المحيط، بقوله :"والمِحْجَاجُ الجدل "[3] أمّا الحجة فقد تعبّر عن القصد لقول ابن فارس: وممكن أن تكون حُجَّة مُشتقّة من هذا لأنّها تُقْصَدُ أو بها يُقصَدُ الحقّ المطْلُوب"[4]

ويتضح مما سبق أن الحجاج يحمل معنيين أولهما القصد و ثانيهما الإقناع عن طريق الدليل

والبرهان، فالذي يدعي صحة رأيه عليه إثبات ذلك ومنها تأتي المحَاجَجَة و التَّحَاجُج والحِجَاج و كلّها ألفاظ تدلّ على التّخاصم والتّنازع والجدل والغلبة.

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب ، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، المجلد 2، 1997 ، ص570

[2]- الزمخشري ، أساس البلاغة ، تح: عبد الرحيم محمود ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط1، 1998، ص74

[3]- الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تح: مُحَمَّد نعيم العرقوسي، مؤسسة الرسالة، ط8، 2005 مادة (ح ج ج) ص183

[4]- ابن فارس، مقاييس اللغة ،تح: عبد السلام مُحَمَّد هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان،ج2 ، 1979، ص30

أما في المعاجم الفرنسية فنجد لفظ (حجاج) يقابله Argumentation التي تدل في معجم روبير **Robert** إلى معان متقاربة نذكر منها :

- " القيام باستعمال الحجج ،مجموعة من الحجج التي تستهدف تحقيق نتيجة واحدة، فن استعمال الحجج و الاعتراض بها في مناقشة معينة "[1]

ونجد فيه أيضا argument- arguer " الأولى تعني استخراج الحجج، والثانية الحجج والإثباتات التي يدافع بها عن الاعتراضات ،وتدل لفظة argumenter على " الدفاع عن اعتراض بواسطة حجج، أو عرض وجهة نظر معارضة مصحوبة بحجج "[2]

وبذلك يكون مدلول الحجاج - حسب معجم روبير- يدور حول استعمال الحجج في الإثبات أو الاعتراض.

ويشير لفظ Argue في اللغة الإنجليزية إلى " وجود اختلاف بين طرفين ومحاولة كل طرف منهما إقناع الآخر بوجهة نظره بتقديم الأسباب أو العلل reasons التي تكون مع أو ضد فكرة أو رأي أو سلوك ما"[3]

ومن هنا يصبح معنى الحجاج يدور حول الجدل والتخاصم والتنازع بين الأطراف.

---

[1]- Le grand Robert. dictionnaire de la langue française . Paris .1989.p 535

[2]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها

[3]- Longman .dictionary of contenporary English. longman.1989.p34

2– الدلالة الاصطلاحية للحجاج:

تضاربت الآراء حول تحديد مفهوم واضح للحجاج، فهو بشغل حيزا واسعا في كل الاختصاصات وتتشعب مظاهره باختلافها وتباينها.

وقد لقي حضورا قويا في النظريات الغربية الممتدة من الموروث البلاغي الفلسفي والتراث اليوناني وفي النظريات العربية انطلاقا من البلاغيين القدماء إلى اللغويين المحدثين باختلاف آرائهم ووجهات نظرهم.

* الحجاج عند العرب قديما:

احتضن التراث العربي الحجاج الذي تداخلت مفاهيمه بمفاهيم الاحتجاج والجدل والمجادلة ولعب دورا بارزا في البيئة العربية من خلال الشعر وفنون الخطابة والمناظرات والمحاورات التي كانت تسعى إلى تبليغ رسائل في مختلف جوانب الحياة اليومية معتمدة على وسائل الإقناع والتبرير والتأثير في الآخرين، وهو ما يوحي بالاهتمام بعناصر التخاطب أنداك من متكلم ومتلق وسياق.

* الحجاج عند ابن خلدون:

ومن العلماء القدامى الذين استعملوا الجدل والمناظرة كمرادفات لمعنى الحجاج ابن

خلدون الذي جاء في مقدمته أن الحجاج هو مناظرة يُستعمل فيها لفظ الجدل، أما الجدل

"فهو معرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم، فإنه لما كان باب المناظرة في الرد والقول متّسعا ،وكل واحد من المتناظرين في الاسترسال والجواب يرسل عنانه في الاحتجاج ،ومنه ما يكون صوابا ومنه ما يكون خطأ، فاحتاج الأئمة أن يطبعوا آدابا وأحكاما يقف المتناظران عند حدودها"[1]وهو ما يوضح أن الجدل يأخذ معنى التعارض والتخاصم .

***الحجاج عند الباجي:**

ألّف أبو الوليد الباجي كتابا حول المناقشات التي تكون بين المذاهب في طرق الاستدلال ،أسماه (المنهاج في ترتيب الحجاج)فيقول: "من أرفع العلوم قدرا وأعظمها شأنا؛ لأنه السبيل إلى معرفة الاستدلال وتمييز الحق من المحال، ولولا تصحيح الوضع في الجدل لما قامت حجّة ولا اتّضحت محجّة ولا علم الصحيح من السقيم ولا المعوج من المستقيم"[2]وهو ما يُبيّن الاهتمام بالحجاج لأنه جوهر كل خطاب وأساسه.

*** الحجاج عند بن وهب:**

[1]- عبد الرحمن ابن خلدون ، المقدمة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان،ط1، 1993 ، ص 362

[2]- أبو الوليد الباجي، المنهاج في ترتيب الحجاج ، تح: عبد المجيد التركي ، دار الغرب الإسلامي، ط2 ، المغرب1987،ص 08

ذهب أبو الحسن إسحاق بن وهب من خلال كتابه (البرهان في وجوه البيان) أن الجدل هو خطاب تعليلي إقناعي، وميّز من خلاله بين أنواع الجدل وقسّمه إلى جدل محمود وآخر مذموم ،كما تحدث في بحث من مباحثه حول أدب الجدل، واشترط مجموعة من الشروط التي يجب توفرها في المحاج كألا يقبل قولا إلاّ بالحجة ولا يرده إلا لعلة، وألا يجيب قبل فراغ السائل من سؤاله، وألا يستصغر خصمه ولا يتهاون فيه.[1]فهو يسن مجموعة من الشروط لضبط الخطاب الناجح .

ولقد برز دور الحجاج بشكل جلي خلال فترات الدفاع عن القرآن الكريم وذلك للبرهنة على مختلف القضايا والمسائل التي تتطلب إقناع البشر وإفهامهم والتأثير فيهم.

***الحجاج عند الجاحظ**

أما الجاحظ فقد كانت رؤيتة بيانية حجاجية حيث وضع نظرية لبلاغة الحجاج ووظيفة البيان ضمن كتابه (البيان والتبيين) وتتجلى مظاهر الحجاج عنده من خلال تعريفه للبيان :"فالبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى ،وهتك الحجاب دون الضمير؛ حتى يُفضي السامع إلى حقيقته ،ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان

ومن أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي يجري إليها القائل والسامع؛ إنما هو الفهم الإفهام ؛فبأي شيء بلغت الإفهام، وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في

[1]- حافظ اسماعيلي علوي ، الحجاج مفهومه ومجالاته ، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة ، ج4، ص09

ذلك الموضع"[1] إذن؛ ربط الجاحظ البلاغة بالبيان وعدّه كل دلالة واضحة المعنى وتحقق غاية الفهم والإفهام، لاسيما أن انتماؤه لمذهب المعتزلة ودفاعه عن قضايا دينه جعلاه يهتم بالحوار وبالآليات التي يُفحم بها خصومه ويُثبت بها صحة آرائه.

كما اعتنى الجاحظ باللفظ وبكل ما يحيل إليه من مقاصد داخل تركيب الكلام، واهتم بالمتكلم واعتبره المنتج الأول للقول، ومن هنا وجب عليه مراعاة كل المقامات والظروف المحيطة بهذا القول حتى يكون حجة يحصل بها الفهم لدى المتلقي انطلاقا من قناعته بما يسمع، بالإضافة إلى أنه أولى عناية فائقة لكل من الشاهد والمثل في كتبه لأنّها من الآليات التي تقوي حجج الخطيب وتعزّز موقفه.

***الحجاج عند العرب حديثا:**

انصب اهتمام كوكبة من البلاغيين المعاصرين على الحجاج وذلك بحكم انفتاحهم على الدراسات البلاغية الغربية، لعل أبرزهم :صلاح فضل، طه عبد الرحمان، مُحَمَّد العمري

وأبو بكر العزاوي وغيرهم.

[1]- لجاحظ ، البيان والتبيين ، تح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي للنشر ، القاهرة، 1998 ، ج1، ط7 ، ص76

درس صلاح فضل بلاغة الحجاج دراسة معمقة في كتابه (بلاغة الخطاب وعلم النص) الذي يُعد من المصنفات الرائدة في حقل الدراسات النقدية المعاصرة، بالإضافة إلى جهود مُحَّد العمري الذي رصد مسيرة الحجاج في الموروث البلاغي العربي القديم وارتباطها بالبلاغة الغربية القديمة التي أرسى قواعدها أرسطو وحدد أجناسها مركزا على فنون الإقناع في الخطب ذات الطابع التأثيري، بالإضافة إلى اطّلاعه على أهم الدراسات الحديثة في هذا المجال كمصنّف بيرلمان وزميله تيتيكاالذي عرضا من خلاله ماهية الحجاج وكان كتاب مُحَّد العمري (في بلاغة الخطاب الإقناعي) محطة هامة من محطات البلاغة سعى من خلاله للكشف عن آليات الإقناع التي تشكل روح الحجاج وسر فعالياته.

*** الحجاج عند طه عبد الرحمن**

طه عبد الرحمن من المفكرين المحدثين الذين تحدثوا عن الحجاج بقوله: "حدّ الحجاج أنّه كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها"[1]فالحجاج آلية لغوية تستعمل لإقناع الغير ،ويضيف قائلا :" فلا خطاب بغير حجاج، ولا مخاطب(بكسر الطاء) من غير أن تكون له وظيفة (المدّعي) ولا المخاطَب(بفتح الطاء) من

[1]- طه عبد الرحمان- اللسان والميزان أو الكوثر العقلي-ط01 - المركز الثقافي- الدار البيضاء- المغرب1998 –ص226

غير أن تكون له وظيفة (المعترض)"[1]إذن ؛فالحجاج لا ينفصل عن الخطاب الذي يقتضي وجود مدعي (متكلم) ومعترض (متلقي) .

كما يكتسي الحجاج عنده طابعا تداوليا جدليا لقوله:" وجد الحجاج أنه فعالية تداولية جدلية، فهو تداولي ، لأن طابعه الفكري مقامي واجتماعي ،إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ومطالب إخبارية وتوجهات ظرفية... وهو أيضا جدلي لأن هدفه إقناعي قائم بلوغه على التزام صورا استدلالية أوسع وأغنى من البنيات البرهانية الضيّقة"[2]تتضح تداولية الحجاج وجدليته من خلال حواريته واعتماده على مختلف السياقات المقامية والاجتماعية للمتخاطبين.

ومن خلال هذا يمكن القول أن الدرس البلاغي العربي شهد مراحل ومحاولات عدة عملت على تطويره وإعادة بعثه من جديد خاصة في ضوء بروز الدرس اللساني الحديث واستعانته بالمفاهيم التداولية الحديثة.

الحجاج عند الغرب قديما

*عند السوفسطائيين:

[1]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها

[2]- طه عبد الرحمن ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ، ط3، 2007، ص65

السفسطائية حركة فكرية وظاهرة اجتماعية برزت في حضارة الإغريق خلال القرن الخامس قبل الميلاد حيث اشتهرت أثينا آنذاك بالخطب والمحاورات مما دفع بأفرادها إلى تعلم فنون الخطابة والجدل السياسي.

ويشار في هذا المقام أن السفسطائيين قد اهتموا إلى حد كبير ببلاغة القول ومتعلّقاتها حتى اتّخذوها حرفة يلقونها على أبناء الأعيان[1]،وشاع صيتهم في البلاغة برعوا في توظيف الأساليب البلاغية والخطابية بحسب أهوائهم ومصالحهم معتمدين على كل الوسائل والأساليب التي من شأنها أن تحقق إقناع الجمهور دون احترام قواعد الحوار وضوابطه.

واستعانوا بمجموعة من الحجج المغالطة(سفسطة) والمعتقدات الخاطئة قصد جذب أنظار الناس وإثارة انتباههم وتضليلهم والسيطرة عليهم.

وعمد السوفسطائيين في ممارستهم للحجاج إلى بناء حججهم على فكرة (النفعية) المتعلقة باللذة وقد أفضت بهم هذه الفكرة إلى توجيه الحجاج بحسب مقتضى المقام، وتعتبر فكرتا التوجيه والتوظيف من الأفكار السفسطائية التي سيكون لها دور بنائي قوي في معظم البحوث الحجاجية المعاصرة"[2]فالحجاج عندهم أخذ منحى آخر بغير منحاه الطبيعي فكان

[1]- محمّد سالم محمّد الأمين طلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1 ، لبنان، 2008،ص25

[2]- محمّد سالم محمّد الأمين طلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة ، ص27

يُراد به الكلام المنمق المبني على الكذب والتلاعب والخداع بغرض استمالة المتلقين وكسب ثقتهم.

***عند أرسطو**

وكان لبلاغة السوفسطائيين الأثر الحاسم في فكر رواد الفلسفة الغربية أمثال أفلاطون وأرسطو الذي اهتم بفنون الكلام من خطابة وشعر وربط بين الكلام وفعلي الإقناع والتأثير.

رفض أرسطو الأساليب السوفسطائية لعدم قيامها على دلائل منطقية وكشف عن تفننهم وتلاعبهم في توجيه الخطاب ،وراح يُغير مسار الخطابة وتأسست دراسته الحجاج على دعامتين أساسيتين :"الأولى يختزلها الاستدلال والثانية تقوم على البحث اللغوي الوجودي"[1] وبهذا فقد اهتم بعمليات البرهنة وتقديم الأدلة العقلية والحجج القوية وركّز على العناصر المساهمة في العملية التواصلية من متكلم ومتلقي ورسالة والمساهمة في تحقيق الإقناع.

ودرس أرسطو الجدل في علاقته بالخطابة وحدد العلاقة بينهما، ويُؤكد هذا التلازم في كتاب (الخطابة) بقوله:" إن الخطابة فرع من الجدل وأيضا فرع من علم الأخلاق يُمكن أن

[1]- مُحَمَّد سالم مُحَمَّد الأمين طلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة ، ص36

يُدعى بحق علم السياسة"[1]فهو يشير إلى خصائص الخطاب البلاغي الجدلي وانفتاحه على مختلف ميادين المعرفة الإنسانية.

وجملة القول أن أرسطو أرسى قواعد بلاغة يكون مركزها الحجاج الذي يقوم على الاستدلال والقياس والأسلوب وترتيب أركان الخطاب، وشكّل فكره النواة الأولى والمنطلق الأساسي لنظريات الحجاج الحديثة عند كل من بيرلمان و ديكرو وغيرهم.

الحجاج عند الغرب حديثا

***مفهوم أوستين وسيرل:**

ساهم الدرس التداولي في إثراء البحث الحجاجي خصوصا مع أبحاث كل من أوستين وسيرل الخاصة بنظرية أفعال الكلام التي تربط اللغة بانجازها الفعلي.

وقد كان لكل من أوستين وسيرل الفضل في بلورة اللسانيات التداولية الحديثة التي تهتم بالوسائل اللسانية المستعملة في إيصال الفعل اللغوي، وبذلك "أصبح مفهوم الفعل الكلامي speech actنواة مركزية في كثير من الأعمال التداولية وفحواه أنه كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري"[2] أي أن هذه الأفعال تحقق أهدافا نفعية مختلفة وتؤثر بشكل مباشر في الإنسان.

---

[1]- المرجع نفسه، ص 32

[2]- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة للطباعة والنشر،بيروت،لبنان،ط1، 2005، ص 40

وقام أوستين بتقسيم الأفعال الكلامية إلى: فعل الكلام، فعل قوى الكلام (الإنجازي أو الغرضي) ولازم فعل الكلام (التأثيري)[1]، ويلاحظ "أنه توجد ثلاثة خصائص للفعل الكلامي الكامل:

- إنه فعل دال

- إنه فعل إنجازي (أي ينجز الأشياء والأفعال الاجتماعية بالكلمات)

- إنه فعل تأثيري (أي يترك آثارا معينة في الواقع، خصوصا إذا كان فعلا ناجحا)"[2]

وقد راجع سيرل عملية تصنيف الأفعال اللغوية لأنه "لمس بعض الاضطراب في تصنيف أوستين، بل والضعف"[3]وراح يعيد هذا التصنيف بالاعتماد على معايير وأسس جديدة من ضمنها مراعاة مفهوم القصدية في التواصل، حيث إنّه "عدّ الغرض المتضمن في القول عنصرا ومكونا أساسيا من مكونات القوة المتضمنة في القول"[4] أي أن الجمل اللغوية ترتبط ارتباطا وثيقا بمقاصد المتكلمين وأغراضهم.

مفهوم ديكرو وأنسكومير:

[1]- عبد الهادي بن ظافر الشهري،استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، 2004،ص155

[2]- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب ، ص 44

[3]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب ، ص157

[4]- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب ، ص 44

يتضح مفهوم الحجاج وآلياته من خلال مؤلفهما (الحجاج في اللغة) 1983 وقد اهتما بتحليل الحجاج كظاهرة لسانية، مادامت اللغة تحمل في جوهرها مؤشرات ذاتية تدل على طبيعتها الحجاجية، ويذهبان إلى أن " لكثير من الأفعال القولية وظيفة حجاجية تتمظهر في بنية الجمل وتحمل الجمل مؤشرات تحدد قيمتها التداولية داخل البنية التركيبية، باستقلال عن المحتوى الاخباري"[1] فالحجاج يكمن في اللغة ذاتها وفي بنيتها.

ويتمثل الحجاج عندهما في تحقيق عملين اثنين هما فعل التصريح بالحجة من جهة وفعل النتيجة من جهة أخرى ؛أي أنه لكل خطاب وظيفته الحجاجية،والخطاب الحجاجي حسب ديكرو:" تُرسله ذات متكلمة هي المسؤولة عنه"[2] ،أي أن لكل قول اتجاه حجاجي باعتبار أن المتكلم هو المسؤول بالدرجة الأولى عن الخطاب عامة وعن الحجاج خاصة حيث إن مقاصده ومبتغياته لا يُمكن تحديدها إلاّ بالعودة إلى معنى القول، وبالنظر إلى وظيفة الحجاج فإنها تكمن في توجيه الخطاب الذي هو الهدف المقصود من خلال حصر دلالة الملفوظ، ويحصل هذا التوجيه في مستويين : مستوى السامع ومستوى الخطاب نفسه، وما بين هاذين المستويين من تداخل.[3] أي للمعنى دور بارز في توجيه الخطاب.

---

[1]- محمد طروس ، النظرية الحجاجية ، دار الثقافة ، المغرب ، ط1 ،2005 ، ص 106

[2]- محمد سالم محمد الأمين طلبة ، الحجاج في البلاغة المعاصرة ، ص192

[3]-عبد الله صولة ، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، منشورات كلية الآداب والفنون والإنسانيات، ط1، تونس، 2001 ، ص36

***مفهوم ميشال مايير:**

استفاد مايير من جهود سابقيه، وراح يُؤسس نظرية بلاغية تعتبر من أشهر النظريات المعاصرة في مجال الفلسفة تقوم على التساؤل والمسائلة ،حيث أدرج الحجاج في طبيعة الكلام ووظيفة التساؤلية، وهو في نظرية مايير "دراسة العلاقة القائمة بين ظاهر الكلام وضمنيه"[1]؛أي بين السؤال والجواب وبذلك يجعل المسائلة لُبّ الحجاج، فظاهر القول في الخطاب يوحي بوجود إشارات حجاجية تدل على ما تضمّنه الخطاب وفقا للمقام، ومن هنا فالحجاج يشير إلى خطاب صريح وضمني ويقتضي حوارا يحمل في طيّاته سؤالا موجها للمتلقي يستهدف إقناعه وإفحامه.

وانصب اهتمام مايير على البلاغة واستعان بصورها البيانية والمجازية في عملية التخاطب لأن المجاز أصل الحجاج وجوهره، فالعلاقة المجازية هي التي تحدد ماهية الحجاج.

ومن هنا فقد طابق بين مفهومي الحجاج والبلاغة وربطهما بالفصاحة لأنهما يشتركان في هدف واحد وهو فك الخلاف القائم بين المتخاطبين والوصول إلى نتائج إزاء تساؤل ما.

ومن خلال هذا الطرح، نخلص إلى أن الخطاب الحجاجي عند مايير أخذ منحى آخر وهو إثارة الأسئلة التي تتطلب أجوبة، كما جمع بين اللغة والحجاج والبلاغة في إطار فلسفي.

[1]- المرجع نفسه ، ص39

***مفهوم شاييم بيرلمان وتيتيكا:**

يُعد بيرلمان وتيتيكا من رواد نظريات الحجاج الحديثة ومؤسسي البلاغة الجديدة حيث أسهمت بحوثهما كثيرا في الدرس البلاغي المعاصر.وقد درسا الحجاج كفرع من فروع هذه البلاغة ضمن كتابهما (مصنف الحجاج:البلاغة الجديدة)1958.

وارتبط اسم شاييم بيرلمان بالخطابة الجديدة، فإليه يرجع الفضل في إعادة الاعتبار للبلاغة ،وذلك بتصحيحه المنظور الذي كان يرى فيها مجرد زخرفة وتزيين وبقيامه بجعلها المبحث الذي إليه نعود إذا أردنا دراسة الخطاب الإقناعي، أي أنه جعلها تنفتح على كافة الخطابات الإنسانية باستثناء البرهنة الصورية والرياضية.[1]

وورد في تعريف بيرلمان للحجاج بأنه "مجموع الأساليب والأدوات التي يستعملها المتكلم من أجل إقناع المخاطَب وحمله على الإذعان، أو تزيد من قوة التأييد لديه"[2]إذن؛ فالحجاج هو الآليات المستعملة من أجل جعل الكلام مقنعا.

ويرى بيرلمان أن الصور البيانية تُؤدي وظيفة حجاجية ،وعليه فالبلاغة ملازمة للحجاج، وارتكز على مجموعة من الأسس التي يقوم عليها الخطاب البلاغي هي:اللغة المرسل، والمرسل إليه،حيث "جعله المحور الذي يدور عليه الحجاج، فالقاعدة العامة التي ينطلق منها

[1]- الحسين بنوهاشم ، نظرية الحجاج عند شاييمبيرلمان ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت، لبنان ، 2014، ص27

[2]- صلاح فضل،بلاغة الخطاب وعلم النص،مكتبة لبنان ناشرون،الشركة المصرية العالمية للنشر،ط1 ،بيروت، الجيزة 1996 ص9

بيرلمان في تحديد فعالية الحجاج هي تكيّف الخطيب مع مستمعه ،إذ إن كل شيء في الحجاج مرتبط به"[1] فالحجاج يستمد قوته من عملية الإثارة التي يحدثها المتكلم في المستمع.

ويرى رفقة زميله تيتيكا أن "موضع نظرية الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تُؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يُعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم"[2]أي أن نظريات الحجاج تهتم بالآليات التي من شأنها أن تزيد في الإقناع والتأثير.

وعليه فقد قام الباحثان بتقسيم الحجاج حسب نوع الجمهور إلى:

- الحجاج الإقناعي: يهدف قناع الجمهور الخاص

- حجاج الاقتناعي: ويهدف إلى أن يُسلم به كل ذي عقل، فهو عام ويعتبرونه أساس الادعان[3]

وتفطّنا من خلال طرحهما هذا إلى الفرق الموجود بين الإقناع والإقتناع ؛ كون الأول يقوم على مخاطبة الخيال والعاطفة، حيث يكون للغير دخل في الإقناع والتأثير على المستمع، أما الثاني فيكون قائما على أساس عقلي، حيث تكون للمخاطِب حرية الاختيار والإقتناع.

---

[1]- الحسين بنوهاشم ، نظرية الحجاج عند شاييمبيرلمان ، ص38

[2]- عبد الله صولة ، الحجاج في القرآن الكريم، ص27

[3]- عبد الله صولة ، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات ، مسكيلياني للنشر، تونس ،ط1 ، 2011، ص 15

وبهذا فقد اهتما بدراسة الحجاج بوصفه حوارا مبنيا على الحرية والإقناع اعتمادا على أسس حجاجية ومنطقية وفلسفية، ولم يقصدا بالبلاغة فن التعبير وأساليب التزيين ،وإنما دراسة الآليات والتقنيات التي توظف هذا الفن والتي من شأنها أن تسمح للمُحتج بأن يُؤثر في المتلقي واستمالته لما يُعرض عليه.

ومجمل القول أن مؤلفات التراث لم تخل من مصطلح الحجاج الذي ورد في مختلف المجالات ذات الطابع الفكري والفلسفي من علوم الفقه واللغة والفلسفة والنحو والأصول ،بينما أصبح اليوم ذا أهمية بالغة من منظور البلاغة الجديدة التي تعتمد اعتمادا كليا على وسائل الإقناع ، ومن ثم أضحى الحجاج مطلبا أساسيا يفرض نفسه في كل أشكال عمليات التخاطب والتواصل التي يشهدها مجتمعنا المعاصر، وضرورة إنسانية حتمية في مختلف الأجناس المعرفية التي تتطلب الحجّة والدليل والبرهان.

الفصـل الأول

نظرية النظم لعبد القاهر الجرجاني أسسها وأركانها

- اللفظ والمعنى
- السياق
- معنى المعنى
- النظم والتأليف

تمهيد

برز مصطلح النظم في تراثنا اللغوي العربي ،وتردد كثيرا في مؤلفات النحاة والبلاغيين القدماء ،واختلف معناه من مجموعة إلى أخرى ،وهو ما نلمسه عند كثير من العلماء الذين كانوا يتطلعون إلى تفسير إعجاز القرآن الكريم من خلال لغته ،فأجمعوا على أن سر هذا الإعجاز لا يخرج عن أحد الأمرين ،وهما إما أن يكون ذلك ناجما عن لفظه أو عن معناه.

وكان أبرزهم ابن المقفع ،سيبويه،بشر بن المعتمر ،الجاحظ ،الرماني ،الخطابي ،أبو هلال العسكري ،أبو بكر البقلاني ،والقاضي عبد الجبار.

وانصرف أهل البلاغة إلى البحث في هذا المجال ،إلى أن ظهر العلامة عبد القاهر الجرجاني ،وشكل منعرجا حاسما في دراسة النظم ،وتجاوز أجيالا من اللغويين ،الذين ظلوا يسبحون في المفاهيم التقليدية للنظم ،ولا يخرجون عن دائرته التي تكرست كقواعد للنقاش واختصرت في التعريف بالفصاحة والبلاغة ،وبحدود كل واحدة منهما ثم محاولات ضبط العلاقة بينهما.

ومما لا شك فيه ،أن كل هذه الجهود القيّمة شكلت اللبنة الأولى التي مهدت الطريق أمام الإمام عبد القاهر الجرجاني ليطور فكرة النظم ،ويرسم معالم نظرية نحوية بلاغية جديدة تمثلت في نظرية النظم من خلال كتابيه(دلائل الإعجاز)و(أسرار البلاغة)،وفي اعتراف له

يقر الجرجاني بانتفاعه بآراء من سبقوه ،إذ يقول :"وقد علمت إطباق العلماء على تعظيم شأن النظم ،وتفخيم قدره ،والتنويه بذكره ،وإجماعهم أن لا فضل مع عدمه ،ولا قدر لكلام إذا هو لم يستقم له، ولو بلغ في غرابة معناه ما بلغ."[1]فهو هنا يبيّن قيمة النظم ومكانته على مرّ الزمان .

كرّس الإمام عبد القاهر جهوده خدمة للنص القرآني ،وحاول بيان وجوه إعجازه ،فراح يرد على سابقيه في هذا الباب ،ويصحح بعض المفاهيم المتعلقة بالفصاحة والنظم في كتابه (دلائل الإعجاز)مستدلا بالحجج العقلية والبراهين.

واقتضت الضرورة الخوض في مسائل تتعلق بلغة القرآن الكريم ،حيث تأمل الإمام عبد القاهر في سياقاتها التركيبية وتقصّى عن حقيقة صياغتها محاولا تفسيرها من خلال قضايا علم المعاني كالتعريف والتنكير ،والتقديم والتأخير ،والحذف والذكر ،والوصل والفصل مرتكزا على توظيف رواية الشعر كونها لغة العرب التي نزل بها القرآن الكريم ليثبت صحة نظريته التي أناط بها مكمن هذا الإعجاز.

[1]- عبد القاهر الجرجاني،دلائل الإعجاز،تحقيق مُحَمَّد رشيد رضا،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية(موفم للنشر)،الجزائر،1991،ص93

أسس وأركان نظرية النظم:

1- اللفظ والمعنى

خاض الإمام الجرجاني غمار معركة التأمل وتقصي حقيقة النص القرآني ،متوغلا في أسرار الإعجاز فيه ،متخذا من نظريته سبيلا للكشف عن هذه الأسرار وتفسير معانيها وجوهرها.

وانطلق من عدة مفاهيم متعلقة بفكرة النظم، كالفصاحة والبلاغة والبيان والبراعة ولعل أبرزها ثنائية اللفظ والمعنى التي شغلت كثيرا من النحاة ابتداء من سيبويه، وشكلت محور جدل في البحث البلاغي العربي لعقود من الزمن.

وقد اعتنى بثنائية اللفظ والمعنى ،وجعلها معيارا لإثبات إعجاز القرآن الكريم ،وألح على ضرورة عدم الفصل بينهما لأن نظم الكلام لا يتعلق باللفظ وحده ولا بالمعنى وحده، وإنما هو مرتبط بهما معا ،يقول :"وليت شعري هل كانت الألفاظ إلاّ من أجل المعاني؟ وهل هي إلاّ خدم لها ومرصفة على حكمها، أو ليست هي سمات لها وأوضاعا قد وضعت لتدل عليها؟"[1]

[1]- عبد القاهر الجرجاني،دلائل الإعجاز ،ص375

رغم أنه يخيل إلينا أن كلام الإمام هذا يومئ إلى نوع من الإقرار بتساوي الأهميتين أهمية اللفظ وأهمية المعنى ،إلاّ أنه يسارع إلى وصف الألفاظ بأنها خدم لمعانيها،مفضلا عنها المعاني ،فيقول :"لا يتصور أن تعرف للفظ موضعا من غير أن تعرف معناه ،ولا أن تتوخى في الألفاظ من حيث هي ألفاظ ترتيبا و نظما ،وأنّك تتوخى في الترتيب في المعاني وتعمل الفكرة هناك ،فإذا تمّ ذلك أتبعتها الألفاظ قفوت بها آثارها"[1]

اهتم الإمام بمبدأ ترتيب المعاني في النفس ،وعدّه عنصرا أساسيا في عملية نظم الكلام يقول في الدلائل :"فإذا وجب لمعنى أن يكون أوّلا في النفس وجب للفظ الدال عليه أن يكون مثله أوّلا في النطق ،فأمّا أن تتصور في الألفاظ أن تكون المقصودة قبل المعاني بالنظم والترتيب ،وأن يكون الفكر في النظم الذي يتواصفه البلغاء فكرا في نظم الألفاظ ،أو أن تحتاج بعد ترتيب المعاني إلى فكر تستأنفه لأن تجيء بالألفاظ على نسقها فباطل من الظن."[2]

نلمح هنا تصريح بأن النظم ليس نظم ألفاظ فحسب ،بل هو نظم للمعاني في النفس وعليه يتوجب على المتكلم أولا أن ينظم المعاني التي يود التعبير عنها ،ويرتبها في

[1]- المصدر نفسه ،ص69

[2]- المصدر نفسه،ص68

ذهنه وفق القواعد النحوية السليمة وبعدها تأتيه الألفاظ الدالة على هذه المعاني مرتبة بمفردها في النطق فالثانية تتبع الأولى مباشرة.

وقد تناول تمام حسّان هذه المسألة بالشرح ،فيقول :"يرى عبد القاهر الجرجاني أنّ المقصود بالنظم إنّما هو نظم للمعاني النحوية في النفس...ومعنى النظم أن يعمد المتكلم إلى اختيار ما يتناسب غرضه من هذه المعاني ،إذ يوردها على خاطره قبل أن يبني لها الكلمات."[1]

يشير تمام حسّان في قوله إلى أن الإمام لم يقصد المعاني المعجمية ،بل كان يقصد المعاني النحوية التي تكتسبها الألفاظ من خلال تفاعلها في علاقات داخل التركيب كالفعل والفاعلية والمفعولية والمبتدأ والخبر، مثلا (فعل+ فاعل+مفعول به) و(مبتدأ+خبر).

ويواصل حجاج خصومه ممن ادّعوا أن إعجاز القرآن يعود إلى تلاؤم أصواته وتناسقها قائلا :"أن الألفاظ إذا كانت أوعية للمعاني فإنها لا محالة تتبع المعاني في مواقعها،...وأنك إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك لم تحتاج إلى أن تستأنف فكرا في

[1]- حسان تمام ،مقالات في اللغة والأدب ،عالم الكتب ،القاهرة ،ج2 ،ط1 ،2006 ،ص335/334

ترتيب الألفاظ بل تجدها تترتب لك بحكم أنّها خدم للمعاني وتابعة ولاحقة بها ،وأن العلم بمواقع المعاني في النفس ،علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق"[1]

وهو بهذا القول يربط بين العملية الذهنية والنطق الفعلي للكلام ؛حيث يؤكد أن الألفاظ لا تنظم في النطق إلاّ بعد أن تترتب المعاني وتتوالى في الذهن ،وعليه فالألفاظ تابعة للمعاني ولاحقة بها ،وهي مجرد أوعية تتجسد بها المعاني ،كما "أدرك أن ترتيب الألفاظ في النطق يجري على ترتيب المعاني في النفس ،وأن العملية فكرية محضة وتتم في نفس الوهلة حين تخرج في صورة أدبية بليغة وتامة البيان"[2] وكأنّه هنا يكشف عن مراحل عملية الإبداع والخلق.

وفي نفس الشأن يقول: "وأعلم أنا لا نأبى أن تكون مذاقة الحروف وسلامتها مما يثقل على اللسان داخلا فيها يوجب الفضيلة ،وأن تكون مما يؤكد أمر الإعجاز وإنما الذي ننكره ونفيل رأي من يذهب إليه أن يجعله معجزا به وحده ويجعله الأصل و العمدة"[3]

يشير إلى أنه لا يمكن للفظ وحده أن يشكل أي وجه من وجوه الإعجاز القرآني

[1]- عبد القاهر الجرجاني ،دلائل الإعجاز ،،ص69

[2]- حياة درويش، نظرية النظم عند الجرجاني:معناها ومبناها، ص03 . https://www.inst.at/trans/23/

[3]- عبد القاهر الجرجاني،دلائل الإعجاز، ص454

فالبلاغة لا تكون إلا في المعنى ،وبالتالي "فالألفاظ عند الجرجاني رموز للمعاني ،والإنسان يتعرف على مدلول اللفظ المفرد أولا ،ثم يتعرف على مدلوله داخل التركيب"[1]

ويتابع احتجاجه ،وهو يسعى جاهدا إلى مواجهة المخالفين لرأيه في مسألة الإعجاز فيقول:"وجرت العادة بأن تكون المعاملة مع الألفاظ فيقال :قد نظم ألفاظا، فأحسن نظمها ،وألّف كلما فأجاد تأليفها ،جعل الألفاظ الأصل في النظم وجعله يتوخى فيها أنفسها وترك أن يفكر في الذي بيّناه من أن النظم هو توخي معاني النحو في معاني الكلم، وأن توخّيها في متون الألفاظ محال"[2]

يقدم هنا دليلا آخر على استحالة أن يكمن النظم والتأليف في الألفاظ كما كان البعض يعتقد،وإنما يكمن في توالي المعاني وانسجامها مع بعضها وفق قواعد النحو الصحيحة.

يتضح مما سبق أن الإمام عبد القاهر أنهى النزاع القائم حول أيّهما أولى في الإعجاز اللفظ أم المعنى؟وأثبت أن إعجاز القرآن الكريم لا يكمن في اللفظ وحده،ولا في المعنى وحده، وإنما يكمن في النظم الذي يحقق العلاقة بينهما أي بين الرمز والصورة الذهنية،فإذا

[1]- حياة درويش، نظرية النظم عند الجرجاني:معناها ومبناها، ص02

[2]- عبد القاهر الجرجاني،دلائل الإعجاز، ص129

كان المعنى هو الهدف الذي يسعى المتكلم لإيصاله إلى السامع،فإن اللفظ هو الوسيلة التي يعبر بها عن هذا المعنى داخل أي تركيب نحوي.

فالجرجاني يحدّد ثلاثة مكونات تنشأ من علاقة اللفظ بالمعنى وهي: اللفظ،المعنى(الشيء الخارجي)والصورة الذهنية،والمثلث التالي يوضح توزيع هذه المكونات:

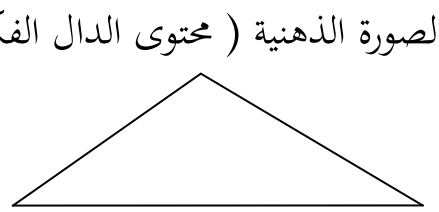

وعلى هذا الأساس "كان الجرجاني ينظر للفظ والمعنى كطرفين لاينفكان يشكلان ما سماه علماء الألسنة المحدثون بالعلامة اللسانية أو الدليل اللساني ،ومنهم العالم **دوسوسير** الذي يقيمه على الدال والمدلول"[2]،وخصّه بحيز هام في أبحاثه "وأطلق الدليل اللساني على

[1]- منقور عبد الجليل،علم الدلالة،أصوله ومباحثه في التراث العربي،اتحاد الكتاب الغربيين دمشق،2001،ص 150

[2]- المرجع نفسه ،ص149

وجهي العملية الدلالية(الدال والمدلول)، فالدال هو القيمة الصوتية أو الأكوستيكية،أما المدلول فهو المحتوى الذهني أو الفكري"[1]

و يقوم علم الدلالة على تحديد العلاقات بين الدال و المدلول،وفي هذا الإطار فإن "العلامات اللسانية حسب النموذج السويسري تقتضي توفر ثلاثة شروط: هي أن تكون العلامة اللسانية دالة على معنى،وأن تكون مستعملة في مجتمع لساني يفهمها،وأن تنتمي إلى نظام من العلامات اللغوية "[2]

وهكذا يتضح لنا مدى تقارب آراء الجرجاني مع آراء **سوسير**في هذه المسألة،حيث" كانت القضية في بداية طرحها في الدرس اللغوي تقتصر على اللفظ والمعنى وباتساع مجال علم الدلالة، أضحت المسألة تتعلق بالدال والمدلول سواء كان الدال لفظا أو غير لفظ"[3]

ونخلص في الأخير إلى أهمية الإنجاز الذي حققه الإمام عبد القاهر في الحقل الدلالي من خلال تطويره لنظرية النظم التي وضعت حدا لكثير من المفاهيم الخاطئة التي كانت سائدة قبله وعبرت عن الوحدة بين اللفظ والمعنى أو بين الدال والمدلول،وأقرت أنهما وجهان متكاملان لعملة واحدة،ولا غنى لأحدهما عن الآخر.

---

[1]- منقور عبد الجليل،علم الدلالة،أصوله ومباحثه في التراث العربي،ص58

[2]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها

[3]- عبد السلام المسدي ،اللسانيات وأسسها المعرفية ،المطبعة العربية ،تونس ،دط ،1986 ،ص30

2- السياق والمقام

كان لفكرة السياق والمقام بذورا متأصلة في دلائل الإمام عبد القاهر الذي عكف على دراسة التراكيب الكفيلة بفهم معاني السور القرآنية،وأسباب نزولها وورودها،يقول: "فقد اتضح إذن اتضاحا لا يدع للشك مجالا أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجرّدة،ولا من حيث هي كلم مفردة،وأن الألفاظ تثبُتُ لها الفضيلة وخلافها في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها أو ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ،ومما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع أخر"[1]، انتبه إلى دور التراكيب وأثرها في تحديد الدلالة وتوجيه الخطاب،واعتمد على فكرة التعليق،واتخذها دعامة لنظريته النحوية.

نفى الجرجاني أن تتحقق الفائدة بالكلمة المفردة التي لا قيمة لها في ذاتها،مادامت مفصولة عما قبلها وعما يأتي بعدها من كلمات، وذلك " أن الألفاظ كدوال على معانيها لا تكتسب دلالتها الفنية،ومن ثم لا تكتسب بلاغتها وحيويتها ومناسبتها للسياق إلاّ إذا

[1]- عبد القاهر الجرجاني،دلائل الإعجاز،ص60

دخلت في علاقات تركيبية مع غيرها من الألفاظ"[1] إذن؛ فهي تكتسب قيمتها ومعناها من خلال موقعها داخل النسق التركيبي.

ويواصل في نفس الشأن بقوله :"وأعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علما لا يعترضه الشك،أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض،وتجعل هذا بسبب من تلك،هذا ما لا يجعله عاقل ولا يخفى على أحد من النّاس."[2]

يُلَخّص من خلال هذا النص فحوى نظريته التي مفادها أن النظم مبني أساسا على أن الكلام هو سلسلة من الكلمات المتعالقة والمتراصة جنبا إلى جنب تربطها مجموعة من العلاقات التي تنشأ بين المعاني النحوية بواسطة ما يعرف بالقرائن اللفظية والمعنوية والإحالة داخل سياق الكلام والتي تسهم بشكل كبير في توضيح المعنى المراد للمتلقي.

ويشرح أوجه هذا التعليق قائلا :"والكلم ثلاث،اسم وفعل وحرف وللتعلق فيما بينهما طرق معلومة،وهو لا يعدو ثلاثة أقسام تعلق اسم باسم وتعلق اسم بفعل وتعلق حرف بهما"[3]

[1]- محمود مُحَمَّد عيسى،السياق الأدبي ،دراسة نقدية تطبيقية،دمياط،جامعة المنصورة ، ط1، القاهرة ، مصر ،2004، ص07

[2]- عبد القاهر الجرجاني،دلائل الإعجاز ،ص69

[3]- المصدر نفسه ،ص09

فالكلمات حسب قوله يرتبط بعضها ببعض إما بتعلق اسم باسم (كأن يكون خبرا أو صفة أو حالا أو بدلا أو مضافا أو تمييزا) أو تعلق اسم بفعل (كأن يكون فاعلا أو مفعولا أو تمييزا أو حالا أو خبرا لكان) أو تعلق الحرف بهما (أي بالاسم والفعل معا).

تشير هذه الأقوال إلى أن المقام والسياق قد حظيا عنده بعناية خاصة،إذ أورد في دلائله ما يقابل ذلك عند المحدثين حين أقام الحجة على خصومه بقوله: "أعجزتهم مزايا ظهرت لهم في نظمه وخصائص صادفوها في سياق نظمه"[1]،كما ذكر عدّة مرادفات مثل: التعليق ،الضم ،التأليف النسق والتركيب.

ومن حججه أيضا قوله "ليس لنا إذا نحن تكلمنا في البلاغة والفصاحة مع معاني الكلم المفردة شغل ولا هي منا بسبيل، وإنما نعمد إلى الأحكام التي تحدث بالتأليف والتركيب"[2]

وقوله : "وجملة الأمر أنا لا نوجب الفصاحة للفظة مقطوعة مرفوعة من الكلام الذي هي فيه،ولكنا نوجبها لها موصولة بغيرها،ومعلقا معناها بمعنى ما يليها "[3]

من الواضح أن الجرجاني ربط فصاحة اللفظ المفرد بالنظم ،وأنكر بلاغته، إذ لا يمكن إدراك خصوصيته وجماله إلّا من خلال ارتباطه وتناسق معناه ليتلاءم مع معاني الألفاظ

[1]- عبد القاهر الجرجاني،دلائل الإعجاز ، ص54/53

[2]- المصدر نفسه،ص84

[3]- المصدر نفسه،ص364

المجاورة باعتباره جزء من نظام لغوي تحكمه علاقات متشابكة تهدف أساسا إلى تشكيل المعنى وخلق بلاغته وجماليته.

وعليه فإن معنى الكلمة يتحدد من خلال استعمالها في السياق،حيث أن المفردات في أي تركيب منظم تقع مجاورة لمفردات أخرى،ومعاني هذه الأخيرة تتحدد انطلاقا من المفردات التي تجاورها والسياقات والمواقف التي ترد فيها،سواء كانت سياقات لغوية أم غير ذلك[1].

ويزيد الأمر بيانا في كتابه (أسرار البلاغة)،فيقول :"ومما يجب ضبطه هنا أيضا،أن الكلام إذا امتنع حمله على ظاهره،حتى يدعو إلى تقدير حذف أو إسقاط مذكور،كان على وجهين أحدهما؛أن يكون امتناع تركه على ظاهره لأمر يرجع إلى غرض المتكلم،والوجه الثاني؛أن يكون امتناع ترك الكلام على ظاهره ،ولزم الحكم بحذف أو زيادة من أجل الكلام نفسه لا من حيث غرض المتكلم به،و ذلك مثل أن يكون المحذوف أحد جزأي الجملة"[2]

[1]- سالم شاكر، مدخل إلى علم الدلالة، ترجمة مُحَمَّد لحياتن،ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1995 (دط)،.ص91

[2]- عبد القاهر الجرجاني،أسرار البلاغة،قرأه وعلق عليه محمود أحمد شاكر،مطبعة المدني ،القاهرة،مصر،ص 421

وهكذا يربط الجرجاني جميع القرائن النحوية من تضام ورتبة ومطابقة بمراعاة السياق اللغوي،وسياق الحال،وما يتصل بالموقف من ظروف،وبكل ما له علاقة بحال المتكلم وموضوع الكلام والمخاطبين وما يتصل بمشاعرهم على نحو مثال الخارجي.[1]

تعد النصوص السابقة شواهد على تجلي جذور التداولية في فكر الإمام عبد القاهر الذي كان يحاجج مخالفيه ويحاول إقناعهم بصحة آرائه،وقد سبق المحدثين حين تحدث عن تعالق الألفاظ في التراكيب وفقا لما يقتضيه السياق،وحين دعا إلى ضرورة ربط الكلام بمقام استعماله،أي بأحوال المتخاطبين وموضوع الكلام وكل الظروف المحيطة به،وهو ما اتخذته النظرية التداولية جوهرا لها،وراحت تهتم بدراسة كل جوانب المعنى وجوانب السياق،محاولة إبراز المقاصد التي يود المتكلم إبلاغها للسامع ونواياه وكل ما له صلة بالحدث الكلامي من قريب أو من بعيد.

وفي نفس الشأن يقول تمام حسّان :" لقد كان علماء الأمة الإسلامية عند اعترافهم بفكرة السياق بشقيه المقالي والمقالي،متقدمين بأكثر من ألف سنة عن زمانهم،لأن الاعتراف

[1]- عبد الرحمن بشلاغم،تجليات مفاهيم التداولية في التراث العربي، مذكرة ماجستير في اللسانيات العامة ،جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان ،ص13

بفكرتي المقام والمقال باعتبارهما أساسين من أسس تحليل المعنى،يعتبر الآن في الغرب من الكشوف التي جاءت نتيجة لمغامرة العقل المعاصر في دراسة اللغة"[1]

وما هذا القول إلاّ دليل آخر على الجهود التي بذلها علمائنا العرب في هذا المجال،خاصة الجرجاني من خلال إسهاماته في إرساء معالم مختلف المفاهيم التداولية.

ومن جانب آخر، نجده يتفق إلى حد قريب مع أصحاب النظرية السياقية التي اقترنت بالعالم الانجليزي **فيرث**،ومعنى الكلمة عند أصحاب هذه النظرية هو(استعمالها في اللغة) أو (الطريقة التي ستعمل بها) أو (الدور الذي تؤديه)،ولهذا يصرح فيرث بأن المعنى لا ينكشف إلاّ من خلال تسييق الوحدة اللغوية،أي : وضعها في سياقات مختلفة.[2]

كما نظر **فيرث**"إلى المعنى على أنه نتيجة علاقات متشابكة متداخلة،فهو ليس فقط وليد لحظة معينة بما يصاحبها من صوت وصورة،ولكنه أيضا حصيلة المواقف الحية التي يمارسها الأشخاص في المجتمع،فالجمل تكتسب دلالاتها في النهاية من خلال ملابسات

[1]- تمام حسّان،اللغة العربية معناها ومبناها،دار الثقافة ، المغرب ، 1994 ط1 ،ص 337

[2]- أحمد مختار عمر،علم الدلالة ،عالم الكتب، القاهرة، مصر ، 1998 ، ص68

الأحداث،أي من خلال سياق الحال"[1] فالظروف المحيطة بالكلام لها أثر بالغ في تحديد دلالاته.

وبهذا يتلاقى الإمام عبد القاهر إلى حد كبير مع علماء الدرس اللغوي الحديث في قضية أن السياق هو أساس دراسة المعنى في اللغة،وجوهر علم الدلالة لأن اللغة ظاهرة اجتماعية تتحدد دلالة ألفاظها من خلال هذا السياق وملابساته.

3- معنى المعنى

بعدما سعى إلى ترتيب معاني الكلام وربطها بمقاماتها،التفت الجرجاني في ثنايا عرضه لنظريته إلى مسألة مهمة تتعلق بمعنى المعنى،فيقول :"الكلام على ضربين : ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده،وذلك إذا قصدت أن تخبر عن زيد مثلا بالخروج على الحقيقة، فقلت: خرج زيد وبالانطلاق عن عمرو فقلت :عمرو نطلق،وعلى هذا القياس وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده،ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة،ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى

[1]–يحي أحمد .، الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة،مجلة عالم الفكر،بيروت،م2،ط3 ، ص82

الغرض،ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل"[1] تثير نظرية المعنى ومعنى المعنى سؤالا جوهريا عند الجرجاني يرتبط بالمستوى العميق دون السطحي لأنها تحيل على المعنى المدرك بالدلالة المباشرة ومعنى آخر موحى إليه بدلالة غير مباشرة،وقد أشار إلى النوع الأول في الضرب الأول،وهو ما دل على معناه من الجانب اللفظي أي بمجرد التلفظ به يفهم السامع معناه من ظاهر لفظه،كقولنا : خرج زيد- عمرو منطلق.

أما النوع الثاني فهو الذي قصده في الضرب الثاني،وهو كلام يحمل في طيّاته معنيين: معنى أول يظهر من خلال التلفظ،ومعنى ثان يتخذ من هذا المعنى الظاهر سبيلا للاستدلال على المعنى المقصود.

ثم يضرب أمثلة على ذلك بقوله :"وقد مضت الأمثلة فيها مشروحة مستقصاة، أو لا ترى أنك إذا فلت: (كثير رماد القدر)،أو قلت :(طويل النجاد)،أو قلت في المرأة: (نؤوم الضّحى) فإنك في جميع ذلك لا تفيد غرضك الذي تعني من مجرد اللفظ،ولكن يدل اللفظ على معناه الذي يوجبه ظاهره،ثم يعقل السّامع من ذلك المعنى،على سبيل الاستدلال،معنى ثانيا هو غرضك،كمعرفتك من"كثير رماد القدر"أنّه مضياف،ومن "طويل

[1]- عبد القاهر الجرجاني ،دلائل الإعجاز ،ص 250

النجاد"أنّه طويل القامة،ومن"نؤوم الضّحى"في المرأة أنها مترفة ومخدومة،لها ما من يكفيها أمرها"[1]

من الواضح أن الإمام عبد القاهر عمد إلى تعميق رؤيته من خلال استحضار بعض الأقوال المتداولة قديما،مستعينا بالصور البيانية التي اعتنى به العرب كالكناية والاستعارة والتمثيل لأنها تعتبر من أقوى أدوات الإقناع والإثارة بالإضافة إلى خصائصها الجمالية.

ويُعدُّ البيان أحد الروافد التي أقام عليها نظريته خاصة في حديثه عن مسألة معنى المعنى التي ربطها بمقاصد الخطاب،حيث تردد مصطلح القصد كثيرا في دلائله،وشكّل المعنى الذي يقصده المتحدث من الحوار وتأثيره في نفس المتلقي مركز اهتماماته وأبحاثه،لقوله:"لا يخفى على من له أدنى تمييز أن الأغراض التي تكون للناس في ذلك لا تعرف من الألفاظ ولكن تكون المعاني الحاصلة من مجموع الكلام أدلة على الأغراض والمقاصد"[2]

[1]- عبد القاهر الجرجاني ،دلائل الإعجاز ، ص250

[2]- المصدر السابق ،ص 394

وينتهي إلى القول : "وإذا عرفت هذه الجملة،فهنا عبارة مختصرة،وهي أن تقول المعنى ومعنى المعنى،تعني بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تصل إليه بغير واسطة وبمعنى المعنى أن تعقل من اللفظ معنى،ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر،كالذي فسّرت لك"[1]

يكشف لنا في هذا النص من منظور تداولي عن الفرق بين (المعنى) و(معنى المعنى)،ويميّز بين نوعين من الكلام؛المعنى المستعمل الظاهر من الجمل وليس هو ما يصبو إليه المتكلم ،وإنما يجعله ممرا يعبر به إلى المعنى الباطن والخفي أو بعبارة أخرى المعنى الذي يقصده المتكلم فيومأ إليه ليستقى من سياق الحديث بالاعتماد على الذكاء وإعمال الفكر فيه.

كما يرصد لنا علاقة التلاحم و التماسك القوي التي تربط بين المعنى ومعنى المعنى فإذا كان الأول هو الدعامة الأساسية التي يُبنى عليها الثاني،فإن الثاني "هو ما يحصل من تعبير عن غرض المتكلم بدلالة معاني الألفاظ الوضعية المنظومة من معان أخرى يستدلّ عليها عقليا"[2]

[1]- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ،ص 251

[2]- مُحَمَّد لميم مقرود ، معنى المعنى عند عبد القاهر الجرجاني –دراسة تداولية ،ص 150

https://www7.asjp.cerist.dz

يوضح الجرجاني من وراء فكرته مدى تركيزه على العناصر المشاركة في عملية التخاطب مع ضرورة استمالة المتلقي والتأثير فيه،وهو ما يعكس بعدا حجاجيا تداوليا،كماسبق وأن أشرنا عند **ميشال ماييرالذي** يرى أن مفهوم الحجاج يتمحور أساسا حول "دراسة العلاقة القائمة بين ظاهر الكلام ومضامينه"[1] أي الدلالات الجوهرية التي لم يُصرَح بها والتي يستدل عليها استنادا إلى الآليات الموجودة في الخطاب الحجاجي.

واعتمد الجرجاني على سائر أنواع المجاز التي تؤدي وظائف حجاجية في تحليل مسألة معنى المعنى التي جعلها من مقتضيات النظم كما سنعرض:

أ- الكناية:

تعرض الجرجاني للكناية في دلائله (فصل في اللفظ يطلق والمراد به غير ظاهره)قائلا: "والمراد بالكناية ههنا أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ به إليه،ويجعله دليلا عليه"[2]يشير إلى ما تحمله الكناية من دلالات عميقة وأبعاد حجاجية تداولية تعكس

[1]- ينظر: عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ،ص 37

[2]- عبد القاهر الجرجاني ،دلائل الإعجاز ،ص79

مدى قوتها في إثبات المعنى الخفي ليؤثر في نفس المتلقي من خلال التلميح الذي اعتبره أقوى من التصريح.

وجعل المعنى المجازي هو نفسه معنى المعنى،وأوضح ذلك بأمثلة عديدة نذكر منها:

– (كثير رماد القدر) يشير المعنى الظاهر إلى كثرة رماد القدر،بينما كانت العرب تعني بها كثير القرى أي المضياف.

– (طويل النجاد) يدل معناه على طول حمائل سيفه،ولكن المعنى المقصود هوطويل القامة.

– (نؤوم الضحى) تعني أن المرأة تنام وقت الضحى،في حين يقصد أنها امرأة مترفة مخدومة.

ومن هنا فقد يلجأ المتكلم في بعض الأحيان إلى اختيار التلميح إلى أشياء معينة باستعمال هذه الصور في خطابه، فيستنتج المخاطَب المقاصد الباطنية لهذا الخطاب باعتبارها نتاج لمقامات ثقافية وظروف اجتماعية مشتركة بينهما كعادات العرب ونمط معيشتهم البدوية.

ب- الاستعارة

تصنف الاستعارة ضمن الآليات الحجاجية التي تندرج في المنهج التداولي،وتجسد مثالا جوهريا لاستعمال اللغة،إذ يدرك منها عادة،معنى مقصودا يقع وراء البنية المنجزة للملفوظ أو الجملة،وبهذا فإن الاستعارات تبدو مرشحات قوية للتحليل التداولي.[1]أي أنها تؤدي دورا بارزا في اقناع السامع وجعله يستنتج النتيجة التي يريدها المتكلم من خلال تأويل الحديث ومحاولة فك شفراته وإشاراته.

أما الجرجاني فيعرفها بقوله:" الاستعارة إنما هي إدعاء معنى الاسم للشيء لا نقل الاسم عن الشيء "[2]،ويعرفها في (أسرار البلاغة)بقوله :" "أن يكون للفظ أصل في الوضع اللغوي معروف تدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع،ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل"[3]

توضح هذه التعريفات حجاجية الاستعارة ومدى فاعليتها في عملية الإقناع واستمالة المتلقي لكونه طرفا مهما في العملية الحجاجية التواصلية، ومن ثم فهي من الوسائل اللغوية التي يستعملها المتكلم للوصول إلى أهدافه الحجاجية، بل أنّها من الوسائل التي

[1] – ينظر: الشهري عبد الهادي بن ظافر،استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص411

[2]– عبد القاهر الجرجاني ،دلائل الإعجاز ،ص391

[3]– عبد القاهر الجرجاني ،أسرار البلاغة ،ص30

يعتمدها بشكل كبير جدا، مادمنا نسلّم بفرضية الطابع المجازي للغة العربية،وما دمنا نعتبر الاستعارة إحدى الخصائص الجوهرية للسان البشري[1] فالاستعارة الحجاجية تهدف إلى إقناع السامع ودفعه للتسليم بفكرة ما عكس الاستعارة الجمالية التي تضفي على المعنى رونقا وجمالا.

كما تكمن فعاليتها في التناسب مع ما يقتضيه السياق، إذ تمثل أقوى وأبلغ الآليات اللغوية، رغم اكتناف السياق لكثير من العناصر، ويظهر التوجه العملي للاستعارة في ارتكازها على المستعار منه، إذ تكون الاستعارة بذلك أدعى من الحقيقة لتحريك همة المرسل إليه إلى ألإقناع.[2]

ومن أمثلة الجرجاني قوله: "وكذلك إذا قال : (رأيت أسدا)،ودلّك الحال على أنّه لم يرد السّبع علمت أنه أراد التشبيه ،إلاّ أنّه بالغ فجعل الذي رآه بحيث لا يتميز عن الأسد في شجاعته"[3]

[1]- ينظر:جميل حمداوي ، من الحجاج إلى البلاغة المعاصرة،مكتبة الأدب المغربي،إفريقيا الشرق،المغرب،2014 ،ص 41

[2]- ينظر: الشهري عبد الهادي بن ظافر،استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص496

[3]- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ،ص 251- المصدر نفسه ، الصفحة نفسها

يراد بعبارة (رأيت أسدا) رؤية الرجل الشجاع بما يملكه من قوة وبطش كقوة الأسد، بينما يدل معناه اللفظي على أنه رأى أسدا أي سبعا، وهنا تبرز أهمية الاستعارة في جعل المعنى أبلغ وأشد.

وقوله:" فإني جبان الكلب مهزول الفصيل، الذي هو دليل على أنّه مضياف"[3] حيث يراد بهذه العبارة معنى ثان مقصود وهو مشتق من المعنى الأول، ويتمثل في ارتباط جبن الكلب بالضيافة.

ج- التمثيل

يراد بالتمثيل "تشبيه وجهه غير حقيقي منتزع من عدة أمور، وهو تشبيه حال بحال"[1]أي أنه إظهار أوجه التشابه بين واقعتين قصد إخراج صفة مشتركة بينهما، وهذا بغرض إقناع المتلقي بالحجة والدليل والتأثير فيه وبلوغ المراد.

يقول الجرجاني:" أعلم أن مما اتفق العقلاء عليه أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه، ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته ....كساها أبهة

[1]- صفي الدين الحلي،شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع، تح: النسيب نشاوي، دار صادر، بيروت، ط1، 1982 ،ص 110.

فإن كان مدحا كان أبهة وأفخم وإن كان حجاجا كان برهانه أنور، وسلطانه أقهر، وبيانه أبهر"[1]

يشير هذا النص إلى أن التمثيل يعد من أهم وسائل الحجاج ،فالمرسل يعمد لاتخاذه كآلية لإعلام السامع بمعاني معينة،وما على هذا الأخير إلاّ تأويلها والاستدلال عليها.

ومن أمثلته : "وكذلك تعلم من قوله: بلغني أنك تقدم رجلا وتؤخر أخرى؛أنه أراد التردّد في أمر البيعة واختلاف العزم في الفعل وتركه،على ما مضى الشرح فيه."[2]

يقصد بهذا القول التردّد واختلاف العزم في فعل الشيء وتركه،بينما يظهر معناه أنه قدّم إحدى رجليه وأخّر الأخرى.

ويُلخّص خصائص البيان في قوله :" وأعلم أنهم يصفون كلاما قد أعطاك المتكلم أغراضه فيه عن طريق معنى المعنى فكنّى وعرض ومثّل واستعار "[3]أي أن وراء كل صورة من هذه الصور الفنية دلالات عميقة يعبر بها الإنسان عن قدراته وتصوراته للأشياء،فتكون شديدة التأثير على المتلقي مما يدفعه إلى تتبع مسارها وتقفي آثارها للاستدلال عليها،وهو ما

[1]- عبد القاهر الجرجاني ،أسرار البلاغة ،ص115

[2]- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ،ص 251

[3]- المصدر نفسه ، الصفحة نفسها

يرصده القارئ في العمل الأدبي الذي لا يخلو من علاقة معنى المعنى التي يمكنه إدراكها من خلال مختلف أشكال المجاز، وهنا يرى طه عبد الرحمن أن:" لا حجاج بلا مجاز"[1]

وفي هذا السياق يقول **بيرلمان**:" تعتبر الصورة حجاجية ذات منظور مغاير؛إذا بدا استعمالها مألوفا بالنسبة لوضعها الجديد المفترض،أما إذا لم يهدف الخطاب إلى استجلاب موافقة المستمع لهذه الصيغة الحجاجية،فإن الصورة ستصبح محسنا بديعيا،لا تعدو أن تغدو مبعث إعجاب أو مصدر استحسان الخطيب"[2]أي أن هذه الصور البلاغية تؤدي وظائفها الحجاجية عندما تحدث تغييرا في الواقع المألوف من خلال شد انتباه السامع والتأثير فيه،وإذا لم تحقق هذا التغيير فإنها تعد مجرد أساليب جمالية في الكلام.

ومن هنا ركزت نظرية الحجاج على المتلقي واعتبرته محور الحجاج لما يلعبه من دور فعال في الحدث التواصلي، باعتباره هو الذي يستقبل الكلام ويستخلص منه المعنى المقصود، وفي هذا الصدد يعرف **بيرلمان** السامع المخاطب بأنه "المجموع الذي يحاول الخطيب التأثير فيه عبر حجاجه"[3]،ويعني هذا أن الخطاب الحجاجي يسعى دائما إلى أن يجعل المتلقي سواء كان فردا أو جماعة يستجيب لرغبات المتكلم وقناعته عبر مجموعة من الأدلة والبراهين.

[1]- طه عبد الرحمن ،اللسان والميزان أو الكوثر العقلي ، ص232

[2]- جميل حمداوي ،من الحجاج إلى البلاغة المعاصرة ،ص 31

[3]- المرجع نفسه ،ص 32

وهكذا فقد استطاع الجرجاني أن يلمّ بكل جوانب العملية التواصلية من متكلم ومتلقي ومحتوى الخطاب وسياق ،وأن يُعنى بالمتكلم على وجه الخصوص بصفته مصدر الخطاب ومنتج القول والفاعل فيه،وفي هذا ملامح الدرس اللساني الحديث والتداولي منه خاصة لأنه يرتكز بدوره أساسا على البحث عن مقاصد وغايات المخاطِب الجوهرية،ومدى تأثيره في السامع وإقناعه سلبا أو ايجابا.

يقول **إحسان عباس**:" فمرحلة معنى المعنى هي المستوى الفني من الكناية والاستعارة والتشبيه وفي هذه المرحلة يكون التفاوت أيضا في الصورة والصياغة،لأنه تفاوت في الدلالة المعنوية،ومن مرحلة المعنى يتكون علم المعاني،ومن مرحلة معنى المعنى يجيء علم البيان"[1]أي أن الصور البيانية هي إحدى وسائل نقل معنى المعنى فهي تطرح دلالة أولية تنقلنا إلى دلالة ثانية نصل بها إلى الغرض المقصود.

وتضم النظرية التداولية الحديثة عدة مباحث لسانية ليست بعيدة عن مفهوم (معنى المعنى)،باعتبار أنها ركزت على الجانب التواصلي المبني على التبادل الحواري أهمها:

[1]- غدير أحمد بني حمدان ،أثر عبد القاهر الجرجاني في الدراسات البلاغية الحديثة،رسالة ماجستير،الجامعة الأردنية،2006،ص13

1- متضمنات القول

تمثل متضمنات القول كل التأويلات التي يمكن أن نستنطقها من محتوى الخطاب وكل ما يحيط بها من ظروف؛أي أنه في كثير من الأحيان قد يُجبر السامع على التفكير في أمور خفية تم التلميح إليها أثناء الخطاب، فيحاول أن يزيل الضباب على هذا الجانب المستور في الأقوال المصرح بها عن طريق استنتاج عدة قضايا احتواها الخطاب.

يقترب مفهوم "معنى المعنى" عند الجرجاني الذي يقوم على الجوانب الغامضة والمبهمة في الكلام من مفهوم "متضمنات القول" بوصفها مفهوم تداولي إجرائي،يتعلق برصد جملة من الظواهر المتعلقة بجوانب ضمنية وخفية من قوانين الخطاب،تحكمها ظروف الخطاب العامة كسياق الحال وغيره.[1] بالإضافة إلى أن هذا الإجراء يتقاطع بشكل واضح مع تحليل الجرجاني لظاهرة الحذف كما سنرى في الفصل التطبيقي.

2- الاستلزام الحواري

هو من أهم مباحث اللسانيات التداولية الحديثة التي تكاد تتطابق مع مفهوم (معنى المعنى)،تعود نشأته إلى الفيلسوف **بول غرايس** الذي توصل إلى التمييز بين المعاني الحرفية الصريحة للخطاب،والمعاني الضمنية أو المستلزمة التي تفهم من سياق الحديث،وهو ما

[1]- مسعود صحراوي ،التداولية عند العلماء العرب ،،ص30

أسماه بالاستلزام الحواري ،ومعناه "هو ما يرمي إليه المتكلم بشكل غير مباشر،جاعلا مستمعه يتجاوز المعنى الظاهري لكلامه إلى معنى أخر"[1] أو بعبارة أخرى هو "المعنى التابع للدلالة الأصلية للعبارة"[2]

ومن هنا فالاستلزام الحواري ينبني على معنيين معنى صريح ومعنى خفي استلزامي يتضمنه القول أي ما يريد المتكلم إيصاله بطريقة غير مباشرة للسامع باعتبار أن هذا الأخير قادر على فهم هذه المقاصد التي يتدخل السياق في تحديدها وتوجيهها.

وبما أن الخطاب الحجاجي يقوم أساسا على الفعل الحواري،فقد احتضنته الاتجاهات التداولية خاصة الاستلزام الحواري الذي يساهم بشكل كبير في إبراز ما يخفيه الخطاب وتوضيح معالم بناءه.

وقد حاول **غرايس** من خلال أبحاثه ضبط عملية التواصل الخطابي بين البشر مستعينا بما أسماه بمبدأ التعاون في الحوار،وضمّه لأربعة قواعد فرعية تساهم بشكل كبير في توجيه المعنى وإنجاح عملية التواصل بين المتخاطبين.

[1]- العياشي أدراوي ، الاستلزام الحواري في التداول اللساني ،بيروت ،الدار العربية للعلوم ،ط1 ،2011 ،ص18

[2]- المرجع نفسه والصفحة نفسها

وربط هذه القواعد بالكم والكيف والأسلوب والمناسبة،وتعني في مجملها أن يتكلم الإنسان على قدر الحاجة المطلوبة،ولا يُدلي بمعلومات كاذبة غير مقتنع بصحتها،وأن يكون كلامه موجزا ومرتبا ومناسبا لسياق الحديث.

وتتضح ظاهرة الاستلزام الحواري من خلال الحوار الآتي بين الأستاذين (أ) و(ب):

الأستاذ(أ):هل الطالب(ج) مستعد لمتابعة دراسته الجامعية في قسم الفلسفة؟

الأستاذ (ب) : إن الطالب (ج) لاعب كرة ممتاز.

لاحظ الفيلسوف **غرايس** أننا إذا تأملنا الحمولة الدلالية لإجابة الأستاذ (ب) وجدنا أنها تدل على معنيين اثنين في نفس الوقت؛أحدهما حرفي والآخر مستلزم،معناها الحرفي أن الطالب (ج) من لاعبي الكرة الممتازين،ومعناهاالاستلزامي أن الطالب المذكور ليس مستعدا لمتابعة دراسته في قسم الفلسفة[1].

الاستلزام الحواري ومعنى المعنى

إن المتتبع لأثر مفهوم الاستلزام الحواري في فكر عبد القاهر الجرجاني،يتضح له جليا إسهاماته في هذا الجانب،لاسيما أنه أبدع في توضيح قضايا المعنى الشائكة،ومن بينها أن الكلام ينقسم إلى معنيين مع النظر إلى غرض المتكلم وقصده؛معنى حرفي ظاهر ومعنى خفي

[1]- مسعود صحراوي ،التداولية عند العلماء العرب ،ص33

أو مستلزم يقتضيه السياق،حيث يقول في دلائله:"وعمد فيما كنّى به وشبّه ومثّل لما حسن مأخذه ودق مسلكه ولطفت إشارته،وأن المعرض وما في معناه ليس هو اللفظ المنطوق به ولكن معنى اللفظ الذي دللت به على المعنى الثاني"[1]

تناول الإمام هذا المفهوم بالشرح والتفصيل في باب الكناية والمجاز كما رأينا سابقا،حيث يلجأ المتكلم أحيانا إلى معنى معين يرادف معنى آخر لم يفصح عنه مباشرة فيومئ به إليه،ويجعله دليلا عليه مع مراعاة حال السامع الذي يقوم بعمليات استدلالية حتى يتمكن من فهم الخطاب وتأويله للوصول إلى معنى المعنى،وهو ما عبر عنه الجرجاني قائلا :"فالمعاني الأولى المفهومة من أنفس الألفاظ هي المعارض والوشي والحلي وأشباه ذلك،والمعاني الثواني التي يومأ إليها بتلك المعاني هي التي تكسي تلك المعارض وتزيّن بذلك الوشي والحلي"[2] يشبّه هنا المعاني الحرفية بالحلي والوشي التي تُنمّق الكلام الظاهر الذي يُخفي بين طيّاته معاني أخرى.

ومن هنا يظهر أن الجرجاني كان سباقا إلى الإحاطة بالمعاني المجازية في التعبير والتي تقابلها المعاني الضمنية المستلزمة التي ينطوي عليها الخطاب.

[1]- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ،ص 251

[2]- المصدر نفسه ،ص 252

4- النظم والتأليف

عدّ الجرجاني النظم العصب الأساس في نظريته الرائدة والمحور الهام في إثبات دليل الإعجاز القرآني وعبّر عن دلالاته بمرادفات عديدة في كتابه حيث يقول :"ووجدت المعول على أنّ ههنا نظما وترتيبا، وتأليفا وتركيبا وصياغة وتصويرا ،ونسجا وتحبيرا ،وأنّ سبيل هذه المعاني في الكلام الذي هي مجاز فيه سبيلها في الأشياء التي هي حقيقة فيها "[1]

جمع في هذا النص بين النظم والترتيب والتأليف والتركيب والصياغة والتصوير والنسج والتعبير، ورأى أنها تمثل كلاّ متكاملا يخدم بلاغة الخطاب وجودته .

واستعان بالنحو ورأى أن النظم لا يتحقق إلاّ عن طريق إدراك المعاني النحوية واستغلال هذا الإدراك في حسن الاختيار والتأليف[2]،حيث مزج بين قضايا النحو وعلم المعاني الذي صنّفه ضمن المباحث الهامة لعلوم البلاغة في كتابه فيقول :"أعلم أن ليس النظم إلاّ أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت،فلا تزيغ،وتحفظ الرسوم التي رسمت لك،فلا تخل بشيء

[1]- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز،ص 49

[2]- ينظر : أحمد درويش ،دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث،دار غريب للطباعة والنشر ،القاهرة ،(دط) ،(دت)،ص 104

منها"[1]ويضيف :" ليس النظم شيئا غير توخي معاني النحو وأحكامه فيما بين معاني الكلم"[2]

يتضح أنه انطلق في تعريفه للنظم من أصل قائم على أساس نحوي،حيث يتوجب على المتكلم أن يراعي أثناء حديثه ضوابط النحو وقوانينه لما تحويه من مقاصد وأغراض بلاغية كالتقديم والتأخير،والحذف والذكر،والوصل والفصل،وقد أبهر الجميع برؤيته عندما "تجاوز الفهم الضيق للنحو المرتبط بعلاقات الإعراب،ورسم طريقا جديدا للبحث اللغوي والنحو مؤكدا أن ليس النظم إلاّ توخي معاني النحو وأحكامه فيما بين الكلم،وقصد بمعاني النحو : المعاني الإضافية والدلالة المجازية التي يصورها النحو.وهذه النظرة للنحو تعد أساسا للدراسات الأسلوبية المعاصرة فالإعراب والنظم والسياق تتظافر وتتعاون للتعبير عن المقاصد"[3]

وبهذا فقد بعث روحا جديدة للنحو ورسم له طريقا مغايرا للوضع المألوف،إذ جعل من جودة التصرف في أحكامه شرطا ضروريا لصحة النظم،وأي إخلال بها سيؤدي حتما إلى فساد هو لا يقصد هنا النحو التقليدي،وإنما "المعاني الذهنية التي تتولد في فكر المتكلم عند

[1]- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ،ص94

[2]- المصدر نفسه ،ص 457

[3]- غدير أحمد بني حمدان ،أثر عبد القاهر الجرجاني في الدراسات البلاغية الحديثة ،ص10

نظم الجمل، تلك المعاني التي تنشأ من تحديد العلاقات بين الأشياء المعبر عنها بالكلم فتربطها ببعضها كما يربط السلك الشفاف حبات العقد،بذلك يصبح الكلام نوعا من الهذيان في حالة فقدانها"[1]

تناول الجرجاني بكل دقة وتركيز عملية التأليف وجعلها من العناصر الأساسية لصحة النظم، كما أقرّ أن تجاور الألفاظ وضمها إلى بعضها البعض في تأليف معين ليس معيارا لفصاحتها وإنما يجب مراعاة موقع كل كلمة من بين أخواتها في التركيب، إذ يقول :" وإذا كان هذا كذلك فينبغي أن ينظر إلى الكلمة فبل دخولها في التأليف، وقبل أن تصير إلى الصورة التي بها يكون الكلم إخبارا وأمرا ونهيا واستخبارا وتعجبا...وتؤدي في الجملة معنى من المعاني التي لا سبيل إلي إفادتها إلاّ بضم كلمة إلى كلمة وبناء لفظة على لفظة"[2]

نرى أنه يؤكّد ويلحّ في أكثر من موضع على أن الكلمة المفردة لا يمكنها أن تكتسب فصاحتها وهي عارية مجردة إلاّ من خلال موقعها في النسق التركيبي ومدى تناسق معناها وتلائمه مع باقي المعاني دون الخروج عن أحكام النحو وضوابطه، ومنه يتوجب على المتكلم أن يختار ما يراه مناسبا من الكلمات ليؤلف بها جملا مفيدة يعبر بها عن أغراضه من نهي وأمر وتعجب متّبعا الأنظمة النحوية الصحيحة.

[1]- سعيد حسن بحيري ،دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة ،،مكتبة الآداب للنشر،القاهرة ، 2005،ص223

[2]- عبد القاهر الجرجاني ،دلائل الإعجاز ،ص58/57

ومن ذلك أيضا ما أضافه :" وهل يقع في وهم أحدهم –وإن جُهد– أن تتفاضل الكلمتان المفردتان من غير أن ينظر إلى مكان تقعان فيه من التأليف والنظم،بأكثر من أن تكون هذه مألوفة مستعملة،وتلك غريبة وحشية... وهل تجد أحدا يقول: هذه لفظة فصيحة،إلاّ وهو يعتبر مكانها من النظم،وحسن ملائمة معناها لمعاني جاراتها،وفضل مؤانستها لأخواتها"[1] إذن؛ فالجرجاني لم يفصل بين اللفظ والمعنى كما أشرنا سابقا؛لأن التلاؤم أو المؤانسة أو التناسب أو غير ذلك قد وقع بينهما في العملية الذهنية الأولى،ولا يمكن أن تنفصل العملية الذهنية الثانية؛حيث لا ينفصل الاختيار عن التأليف،فالنظم إذا يصل بين اللفظ والمعنى معا.[2]

وفي هذا الشأن يرى أحمد درويش أنه" يراد بالتأليف وضع كل كلمة في مكانها المناسب من العبارة وفقا لمعناها النحوي ...وفي كل حالة من الحالات يقف وراء التأليف معنى نفسي يكمن وراء اختيار الشكل النحوي المناسب للعبارة"[3] فالجرجاني أراد بنظم الكلام سبكه وتأليفه وحسن صياغته مراعيا معاني النحو التي تبرز مقاصده.

[1]– عبد القاهر الجرجاني ،دلائل الإعجاز ،ص58

[2]–ينظر: أحمد محمود سعيد أبو دنيا، الفكر اللغوي عند عبد القاهر الجرجاني، شبكة الألوكة /https://www.alukah.net

[3]– أحمد درويش ،دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث،ص 113

ومن هنا فالمفاضلة لا تقع للفظ المفرد،بل إن المعاني هي جوهر عملية تأليف الكلام إذ أنه كلما رُتّبت الكلمة وألّفت داخل تركيب وارتبط بعضها ببعض وتلائم معناها مع غيرها بواسطة روابط نحوية أدت وظيفتها في النظم على أحسن وجه.

ويدعم فكرته بدليل آخر في أسرار البلاغة فيقول :"والألفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضربا خاصا من التأليف، ويعمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب و الترتيب"[1]

وفي الوقت نفسه يربط هذا التأليف و الترتيب بأغراض المتكلم وغاياته من الخطاب فيقول :"لا يكون ترتيب في الشيء حتى يكون هناك قصد"[2]

يقر الجرجاني من خلال كلامه أن نظريته التي تقوم على ارتباط الكلام وضم بعضه لبعض في تأليف وترتيب متناسق حسب مقاصد صاحبه من شأنها أن تُتخذ كمطية لدراسة مختلف النصوص الشعرية وفهم إعجاز القرآن الكريم وتحليله تحليلا دقيقا ومنطقيا.

وبهذا فقد تلاقى مع علماء اللغة المحدثين في قضية أن اللغة ليست مجموعة من الألفاظ بل هي مجموعة من العلاقات،وفي هذا يقول:"أن الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها،ولكن لأن يضم بعضها إلى بعض،فيعرف فيما بينها

[1]- عبد القاهر الجرجاني،أسرار البلاغة،ص04

[2]- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 331

فوائد"[1]وهذا دليل علىأنه وصف اللغة بنظام متكامل،أي أن الألفاظ لم توضع في اللغة لتعرف معانيها في ذاتها، وإنما لتتآلف في نظام يجسدها في شكل كلام واحد متعلق بعضه ببعض.

ومن جهة أخرى يقرّ العالم السويسري **فرديناند دي سوسير** هو الآخر أن اللغة نظام يتألف من مفردات،وأن الكلمة "إذا وقعت في سياق ما لا تكتسي قيمة إلاّ بفضل مقابلتها لما هو سابق ولما هو لاحق بها أو لكليهما معا"[2]أي أن المفردة الواحدة ليس لها أهمية ولا تؤدي معناها إلاّ إذا دخلت في تأليف وتركيب مع باقي المفردات بواسطة شبكة من العلاقات النحوية.

وفي السياق نفسه يقول الدكتور مندور: "من أنَّ عبد القاهر يستَنِد في نظرته هذه إلى نظريَّة في اللغة،بأنها تتماشى مع ما توصَّل إليه علمُ اللسان الحديث من آراء،ونقطة البدء تجدها في آخِر كتاب" الدلائل"؛حيث يُقرِّر ما يُقرِّره علماء اليوم من أنَّ اللغة ليستْ مجموعةً من الألفاظ،بل مجموعة من العلاقات اللغويَّة،وعلى هذا بنى عبد القاهر كلَّ تفكيره اللغوي التطبيقي"[3] يظهر أن نظرية النظم كانت نظرية متكاملة شملت ميادين اللغة والنحو

[1]-عبد القاهر الجرجاني ،دلائل الإعجاز ،ص470/469

[2]- الطلحي،ردة بن ردة بن ضيف الله ،دلالة السياق،ط1،معهد البحوث العلمية،جامعة أم القرى،مكة،2002 ،ص 167

[3]- ينظر: أحمد محمود سعيد أبو دنيا ،الفكر اللغوي عند عبد القاهر الجرجاني ،شبكة الألوكة

والبلاغة.

وخلاصة القول، أننا حاولنا في هذا الفصل أن نقف على ما حقّقه الجرجاني من خلال نظرية النظم التي يُعد رائدا لها بلا منازع،هذه النظرية التي يعود لها الفضل في حسم كثير من القضايا التي كانت عالقة وغامضة في البلاغة العربية،وفي مقدمتها ثنائية اللفظ والمعنى والضوابط التي تحكمها وعلاقة اللغة بالفكر،وعلاقة معنى المعنى وغيرها.

واعتنى بسيرورة الكلام داخل الخطاب وراعى كيفية انتقاله من المعنى الظاهر إلى معنى المعنى المضمر الذي يعكس مقاصد المخاطِب وأغراضه، متخذا من السياق والمقام معيارا للكشف عن هذه الدلالات، ومقياسا لبلوغ غاية الفهم والتفاهم.

كما التفت بكل فطنة إلى مسألة مهمة تتعلق بتفسير طبيعة الظاهرة اللغوية وتجلياتها بعدما تفطن إلى جميع العناصر الضرورية في عملية التخاطب ومنزلتهم ضمن نظريته من مخاطِب ومخاطَب وظروف التخاطب، فما النظم عنده إلا مزيج من العلاقات التي تساهم في تأليف الكلام وسبكه وتضامه وفقا لما تقتضيه ضوابط النحو.

الفصـل الثانــي

مظاهر الحجاج في كتاب دلائل الإعجاز

لعبد القاهر الجرجاني

- حجية تقديم النكرة على الفعل وتقديم الفعل عليها
- حجية القول في الحذف
- بلاغة الفصل والوصل

تمهيد

يشكّل كتاب (دلائل الإعجاز) للإمام عبد القاهر الجرجاني مصدرا من أهم المصادر التي وجدت فيها اللغة العربية مرتكزا غير مسبوق من مرتكزاتها، بحيث جاء بما يشبه الثورة على المفاهيم تأسيسا وترسيخا وتجديدا، حتى أن إحيائه قد تم على يد كبار لغويي العصر الحديث من أمثال الشيخ مُحَمَّد عبده، والشيخ رشيد رضا وما تلى ذلك الجهد من اهتمام بهذا الكتاب، برز بشكل جلي في دراسات الأكاديميين الحداثيين في مختلف الجامعات العربية وما سواها، فكانت ثروة في التنظير على التنظير.

فلقد انفرد كتاب (دلائل الإعجاز) بالتصدي لأعقد المسائل اللغوية والنحوية التي كانت مطروحة، والتي انتظرت الحسم وفي مقدمتها مسألة الإعجاز القرآني والنظم ثم إعادة الاعتبار لسلطة النحو بعيدا عن الشكليات .

ولشساعة موضوع النظم وتنوع المسائل التي عالجها الجرجاني ضمنه، فقد توقفنا عند ثلاث منها وهي: أسلوب تقديم النكرة على الفعل في الاستفهام والعكس وأسلوب

الحذف، وبلاغة الفصل والوصل.وهذا لأهميتها كمرتكزات في منظومة النظم، ولأنها تعد من الآثار التي تطرق إليها سيبويه قبل الجرجاني،ثم أضفى عليها هذا الأخير من الخصائص وحداثة المنهجية والعمق ما ارتقى بها إلى مصاف النظرية الرائدة المتكاملة التي تعرف من التطور ما تحظى بهعبر الأجيال المتلاحقة من زخم وتفاعل .

هذه الأجيال التي كان لروادها فضل السبق في اكتشاف الجرجاني ومجموعة من الأعلام العربية لأصول الدراسات اللسانية والمدارس اللغوية الحديثة، ولعل أبرزها التيار التداولي وما أفرزه من نظريات في أفعال الكلام والتلفظ والاستلزام الحواري والحجاج.

ولقد بات من المعلوم أن التداولية تهتم في جوهرها بدراسة اللغة كظاهرة تواصلية وكيفية استعمالها من طرف مستخدميها، كما تركز على دراسة المقاصد الإبلاغية وكيفية تشكل المعنى في نفس المتكلم ثم نقله إلى المستمع، وهو ما أتاح لها فرصة التقاطع والتداخل مع الحجاج،وذلك من خلال أن الخطاب الحجاجي يخضع لقواعد وشروط القول والتلقي ويسعى لتحقيق غاية الإقناع والتأثير.

وإذا كان الحجاج يعيش في كنف اللغة الطبيعية، فإنه يظل ملازما للأقوال والأفعال الكلامية والخطابات والحوارات بمختلف أنواعها لاسيما الصور البيانية والتراكيب النحوية، وهو ما لمحناه بشكل واضح في كتاب دلائل الجرجاني، حيث تتجلى هذه

الآليات وتبرز أهميتها في إثبات فحوى نظريته والدفاع عنها مستعينا بالحجج والبراهين، معتمدا على الشعر العربي والقرآن الكريم.

1- حجية تقديم النكرة على الفعل أو تقديم الفعل عليها

عرض الجرجاني أسلوب التقديم والتأخير عرضا مفصلا في دلائله واعتبره وجها من وجوه النظم ومعيارا لتنوع الكلام من موضع إلى آخر،وهذا بغية الوقوف على سر الإعجاز القرآني إذ يقول :" باب كثير الفوائد ،جم المحاسن ،واسع التصرف ،بعيد الغاية ،لا يزال يفترُّ لك عن بديعة ،ويفضي بك إلى لطيفة ،ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمَعه ،ويلطف لديك موقعه ،ثم تنتظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قدم فيه شيء وحوّل اللفظ عن مكان إلى مكان"[1]

يشيد في هذا النص بفوائد ظاهرة التقديم و التأخير لأنها من الآليات التي تعكس فصاحة اللغة العربية وبلاغتها ،إذ يدل كل منهما على قصد معين ،لأن المرسل يختار من نظام اللغة ما يناسب السياق ،وأما القصد فإنه هو الذي يوجه ويحرك الترتيب[2].

[1]-عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز، ص117

[2]-ينظر: الشهري عبد الهادي بن ظافر،استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية،ص202

ومن بين المسائل التي تطرق إليها في باب التقديم و التأخير مسألة الاستفهام بالهمزة ودخولها على الأسماء النكرة والأفعال.

النكرة لغة

تعود كلمة نكرة إلى الجذر الثلاثي (نكر)، يقال : نكر فلان ينكر نكرا، ونُكرا ونكارة فطن وجاد رأيه، فهو نَكر ونُكر ونُكر ومُنكر، والجمع: أنكار ومناكير و النُّكرو النكراء: الدّهاء والفطنة والأمر الشّديد الصعب[1] .

والنكرة أيضا ما يخرج من الحولاء والخُراج من دم وقيح كالصّديد، يُقال: أُسهل فلان نكرة ودما، وليس له فعل مشتق[2].

وفي كتاب العين عرفه الخليل بقوله: نكر:والنكر: الدماء، والنكر: نفت للأمر الشديد، والرجل الداهي، يقال: فعه من نكره ونكارته، والنكرة: تقيض المعرفة، وأنكرته إنكار، ونكرته لغة، لا يستعمل في الغابر، ولا في أمر ولا في نهي، ولا مصدر والاستنكار: استفهامك أمرا تذكره، واللازم من فعل النكر المنكر: نكر نكارة ،ورجل نكر، ورجل منكر: داه ورجال منكرون للإنكار الذي يعني به التغير[3] "

[1]– ابن منظور، لسان العرب ، ج5 ، ص 272-274 .

[2]– المصدر نفسه ، الصفحة نفسها

[3]– الفراهيدي ، كتاب العين، المجلد 3،4 ، تح عبد الحميد هنداوي، ط1 ،دار الكتب العلمية، بيروت 2003، ص 264 .

فالمعنى اللغوي لكلمة (نكرة) هو الدهاء والفطنة أي شدة الذكاء، والجهل وعدم المعرفة، وما يخرج من الحولاء من دم وقيح.

النكرة اصطلاحا

عرّف الخليل الفراهيدي النكرة بقوله:"النكرة نقيض المعرفة"[1] بمعنى أن النكرة تقابل المعرفة إلا أنه أراد بهذا التعريف المعنى اللغوي، أما عند سيبويه فإننا نجد ما يشير إلى معناها بقوله:" أما الألف واللام فنحو الرجل والفرس والبعير وما أشبه ذلك، وإنما صار معرفة لأنك أردت بالألف واللام الشيء بعينه دون سائر أمته، لأنك إذا قلت : مررت برجل فإنك إنما زعمت أنك مررت بواحد ممن يقع عليه هذا الاسم، لا تريد رجلا بعينه يعرفه المخاطب"[2]

وذكر ابن قتيبة أن النكرة (ما ليس فيه الألف و اللام، أو مما يحسن فيه وقوع رُب عليه)[3]

[1]- الفراهيدي ،كتاب العين، ص 264

[2]- سيبويه، ، الكتاب ،ج2، تحقيق و شرح عبد السلام مُحَمَّد هارون، دار الجيل، بيروت، ص05

[3]- ابن قتيبة، تلقين المتعلم من النحو، تح مُحَمَّد سلامة الله مُحَمَّد هداية الله، جامعة أم القرى، السعودية، 1986، ط1،ص 270

ويتضح أن النكرة عند سيبويه ما دلّ على شيء غير معين في جنسه للمخاطب فهي إذا كل اسم يدل على العموم. أما ابن جني فقد اعتمد في تعريفه للنكرة على الشكل دون المعنى.

واعتمد بعض النحاة على تعريفات أخرى للتعبير على المعنى الاصطلاحي للنكرة نذكر منها تباعا:

يرى المبرد أن النكرة "مالم يخص الواحد من أُمّته" [1] ويقول ابن جني:"النكرة ما لم تخص الواحد من جنسه"[2] ويقول ابن السراج :"النكرة كل اسم عم اثنين فما زاد "[3]

أما الزجاجي فالنكرة عنده" كل اسم شائع في جنسه، ولا يخص به واحد دون آخر"[4]

يظهر أن المعنى الاصطلاحي للنكرة قد اختلف عند النحاة؛ وتباينت دلالاته مابين إشراك الشيء لغيره،وما كان شائعا في جنسه ولا يُراد به مُعيّن.

[1]- المبرد ، المقتضب ، تح: مُحَمَّد عبد الخالق أو عضيمة، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة ،1994 ،ط1، ج 4 ، ص 276

[2]- ابن جني ، اللمع في العربية ، تح: سميح أبو مغلي ،دار مجدلاوي للنشر ، عمان، 1988 ،ص56

[3]- ابن سراج، الأصول في النحو ، تح: عبد الحسين الفتلي مؤسسة الرسالة، بيروت ، ج1 ، ط3، ص48

[4]- أبو القاسم الزجاجي ،الجمل في النحو، تح علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، دار الأمل ، ط1، 1984،ص 178

النكرة عند الجرجاني

عقد الجرجاني فصلا في النكرة إذا قدمت على الفعل أو قدم الفعل عليها فيقول:"إذا قلت:(أجاءك رجل): فأنت تريد أن تسأله هل كان مجيء من أحد من الرجال إليه،فإن قَدّمتَ الإسم، فقلتَ: (أرجل جاءك)؟ فأنتَ تَسأله عن جنس من جاءه أرجل هو أم امرأة،و يكونهذا منك إذا كنتَ علمتَ أنَّه قد أتاه آت،و لكنّك لم تعلم جنس ذلك الآتي فسبيلك في ذلك سبيلك إذا أردتَ أن تعرف عين الآتي،فقلت: (أزيد جاءك أم عمرو)؟"[1]

إذن؛ فإنه لا يجوز الابتداء بالنكرة إلاّ بمسوّغات يشرحها الجرجاني من قوله: "ولا يجوز تقديم الاسم في المسألة الأولى لأن تقديم الاسم يكون إذا كان السؤال عن الفاعل والسؤال عن الفاعل يكون:إما عن عينه أو عن جنسه، ولا ثالث.وإذا كان كذلك كان محالا أن تقدم الاسم النكرة وأنت لا تريد السؤال عن الجنس لأنه لا يكون لسؤالك حينئذ متعلق من حيث لا يبقى بعد الجنس إلا العين والنكرة لا تدل على عين شيء فيسأل بها عنه، فإن قلت: أرجل طويل جاءك أم قصير.كان السؤال عن أن الجائيمن جنس طوال الرجال أم قصارهم؟ فإن وصفت النكرة بالجملة، فقلت: أرجل كنت عرفته من قبل أعطاك

[1]- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز، ص143.

هذا أم رجل لم تعرفه؟ كان السؤال عن المعطي أكان ممن عرفه قبل أم كان إنسانا لم تتقدم منه معرفة"[1].

تظهر حجية تقديم الاسم النكرة على الفعل أو العكس من منظور الجرجاني على أنها تقدم في حالة عدم معرفة جنس من أتى أرجل أم امرأة، أي هل جنس الآتي رجل أو امرأة،أماإذا كان المسؤول عنه معروفا فإنه لا يجوز تقديم النكرة على الفعل مثل قولك:(أعمرو جاءك أم زيد؟)، فالملاحظ أن عمروا هو اسم علم، وليس نكرة.

ويواصل بالشرح قائلا :"وإذ قد عرفت الحكم في الابتداء بالنكرة في الاستفهام فابن الخبر عليه. فإذا قلت:(رجل جاءني)،لم يصلح حتى تريد أن تعلمه أن الذي جاءك رجل، لا امرأة، ويكون كلامك مع من قد عرف أنه أتاك آت، فإن لم ترد ذلك كان الواجب أن تقول:(جاءني رجل) فتقدم الفعل، وكذلك إن قلت:(رجل طويل جاءني) لم يستقم حتى تقدر السامع أنه ظن أتاك رجل قصير أو نزلته منزلة من ظن ذلك"[2]

يؤكد في هذا الموضع على دور المعرفة المسبقة لدى المخاطب في صحة كلام المتكلم نحويا واستقامته دلاليا؛فهو يريد منه إعلامه بجنس من قام بالفعل.[3]

---

[1]- المصدر نفسه ،الصفحة نفسها

[2]- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ،ص144

[3]- ينظر: سعيد حسن بحيري، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية و الدلالة، ص 244

وراح يعرض مختلف الأمثلة ليحلل فكرته قائلا:" وأعلم أن لم نرد بما قلناه من أنه إنما حسنالابتداء بالنكرة في قولهم (شرّ أهرّ ذا ناب) لأنه أريد به الجنس أن معنى شرّ والشرّ سواءوإنما أردنا أن الغرض من الكلام أن نبين أن الذي أهر ذا الناب هو من جنس الشرّ لا جنس الخير"[1]

يرى الجرجاني أن الكلام ابتدئ بنكرة في (شرّ أهرّ ذا ناب) لأغراض بلاغية فمعنى قول العرب أن الذي أهرّ ذا الناب هو من جنس الشرّ لا جنس الخير،أي أن السؤال وقع عن نوع الفاعل وجنسه.

ويكشف عن الدلالات التي يحملها الاستفهام بالهمزة بقوله:" إذا قلنا في قولهم: (أرجل أتاك أم امرأة):أن السؤال عن الجنس لم نرد بذلك أنه بمنزلة أن يقال: الرجل أم المرأة أتاك ولكنا نعني أن المعنى على أنك سألت عن الآتي: أهو من جنس الرجال أم جنس النساء؟فالنكرة إذن على أصلها من كونها لواحد من الجنس إلاّ أن القصد منك لم يقع في كونه واحدا وإنّما وقع إلى كونه من جنس الرجال"[2]

[1]- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ،ص144

[2]-عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ،ص145

من الواضح أنّ الجرجاني اهتدى إلى أهمية أسلوب الاستفهام الذي "يُعدّ من أنجع أنواع الأفعال الكلامية حجاجا وهو ما يتوسل به الكثير في فعلهم، إذ إنّ طرح السؤال يمكن أن يضخّم الاختلاف حول موضوع ما، إذا كان المخاطَب لا يشاطر المتكلم الإقرار بجواب ما"[1] فالسؤال والمسائلة من أقوى الآليات الحجاجية وأشدّها إقناعا للطرف المعارض كما سبق وأن أشار ميشال مايير.

حاول الجرجاني من خلال ما سبق أن يبرز دلالة الجنس وما لها من دور وأهمية في تقديم الكلام، ومن هنا فهو يعد من أكثر العلماء الذين رددوا مصطلح القصد،بل كان محور نظريته، بوصف سبب العدول عن التركيب الأصل هو لبيان قصد المرسل؛بالاستجابة للسياق تداوليا[2].

ويضيف قائلا :"وعكس هذا أنك إذا قلت : إذا قلت: (أرجل أتاك أم رجلان)؟كان القصد منك إلى كونه واحدا دون كونه رجلا فاعرف ذلك أصلا وهو أنه قد يكون في اللفظ دليل على أمرين ثم يقع القصد إلى أحدهما دون الآخر فيصير ذلك الآخر بأن لم يدخل في القصد كأنه لم يدخل في دلالة اللفظ"[3]

[1]- الشهري عبد الهادي بن ظافر،استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية،ص483

[2]- ينظر: الشهري عبد الهادي بن ظافر،استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية،ص201

[3]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز،ص145

ينتقل في هذا النص إلى بيان دلالة أخرى تتمثل في أهمية بيان العدد التي بفيدها تقديم النكرة في الاستفهام، سواء وصفت بالمفرد أو الجملة في الكلام.

وقد سبق وأن تفطن سيبويه إلى علة تقديم المسؤول عنه تلو الهمزة؛ في (باب الاستفهام) وذلك إذا كان السائل يقصد قصده، فإذا انصبّ السؤال على الاسم كان أولى بالتقديم، وكذلك العكس إن كان الفعل هو المقصود من الاستفهام[1]. فالسؤال عنده مرتبط بما قصده المتكلم من كلامه.

ومن هذا المنطلق يجيز سيبويه في المسؤول عنه أن يتقدم في الاستفهام وأن يتأخر غير أنه يستحسنه متقدما تبعا لمقصود السائل و مراده،فإن قَصَدَ السائل بسؤاله قصد الاسم فتقديمه أفضلُ وأحسن، كذلك إذا كان المسئول عنه فعلا فتقديمه أبلغُ؛إذ كان هو المقصود بالاستفهام وذلك أدخل ما يكون في بلاغة النظم[2].

يتضح أن سيبويه سبق تلميذه في تناول مختلف مباحث الاستفهام بكل أشكالهوخصّالهمزة ودخولها على النكرة بمزيد من الاهتمام وبيّن جوانبها التعبيرية، إلاّ أن الجرجاني تعرض إليها بدراسة واسعة وعميقة مبرزا ما تحمله من أغراض بلاغية جميلة.

[1]- أحمد سعد محمّد، الأصول البلاغية في كتاب سيبويه و أثرها في البحث البلاغي،مكتبة الآداب، القاهرة،ط2، 2009،ص285

[2]- ينظر: المرجع نفسه ، ص 46

وعليه فإذا كان هناك من فرق بين سيبويه وعبد القاهر،فهو فرق بين نحوي يضع أصول علم النحو،ملتفتا في أثناء ذلك لمعانيها الدلالية والبلاغية،ونحوي آخر استطاع بمهارة وذوق أن يستثمر هذه الأصول النحوية لصالح البحث البلاغي بكثرة التمثيل وجمال التحليل[1].

ولحرصه على الدقة لم يرد الجرجاني بُدا من تصويب ما ذهب إليه شيخه من جعل التقديم للتنبيه أو لمجرد العناية والاهتمام،فيقول:" وإذا اعتبرت ما قدمته من صاحب الكتاب أنك قلت(عبد الله) فنبّهته له ثم بنيت عليه الفعل وجدته يطابق هذا وذاك أن التنبيه لا يكون إلاّ على معلوم كما أن قصر الفعل لا يكون إلاّ على معلوم،فإذا بدأت بالنكرة فقلت: (رجل)، وأنت لا تقصد بها الجنس وأن تعلم السّامع أن الذي أردت بالحديث رجل لا امرأة كان محالا أن تقول: إني قدّمته لأنبّه المخاطب له:لأنه يخرج بك إلى أن تقول: (إني أردت أن أنبّه السامع لشيء لا يعلمه في جملة ولا تفصيل: وذلك ما لا يشك في استحالته فاعرفه"[2]

يوضح من خلال هذا النص أن التقديم لا يقتصر غرضه على التنبيه أي لمجرد العناية و الاهتمام؛لأنه من غير المعقول أن ينبّه السامع لشيء لا يعلمه أصلا.

[1]- أحمد سعد مُحَمَّد، الأصول البلاغية في كتاب سيبويه و أثرها في البحث البلاغي ، ص 71

[2]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز،ص145

وهكذا فقد بيّن الجرجاني أحوال الاسم النكرة في الاستفهام،واستطاع أن يكشف عن أهم الدلالات التي يفيدها أسلوب التقديم ألا وهي دلالة الجنس وبيان العدد من خلال إظهار أهمية الشيء المقدَم والتركيز عليه،لاسيما أن هذا النمط الكلامي له أثر في عملية التواصل وفي تغيير المعاني التي تختلف من سياق إلى آخر.

ومن جانب آخر ترتبط الجمل عند صاحب نظرية النظم بواسطة علاقات نحوية من شأنها أن تجعل الكلام مرتّبا ومتآلفا ومتراصّا ككيان واحد يتحكم فيه السياق الذي قيل فيهوالمعنى المقصود منه، حيث يعد تغيير الرتبة أحد عوامل الربط عنده، فإذا قدّم الشاعر أو الناثر أو المتكلم الظرف ثم أخّر العامل فيه، وهو الفعل، فذلك يجعل من الكلام المتقدم والمتأخر قطعة متماسكة من القول، تقوم على الإفادة من ذاكرة المتلقي الذي يختزن ثم يسترجع، رابطا بين المعمول وهو الظرف، والعامل فيه وهو الفعل[1].

إن كل ما قُدم من أمثلة في مبحث التقديم و التأخير يندرج دائما في إطار توضيح بلاغة النظم عند الجرجاني يقول أحمد درويش: "والموقعية كذلك لها أثر في المعنى فتأخير الكلمة أو تقديمها أو توسيطها ذو أثر في إعطاء مدلول خاص لمعناها،هذه العلاقة

[1]- ينظر: إبراهيم محمود خليل، في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردنط3، 2015، ص 230

بين المعنى النفسي والوسائل النحوية التي تؤديهه هي العلاقة التي اهتدى إليها صاحب نظرية علم المعاني وأطلق على هذه العلاقة اسم نظرية النظم"[1]

وبذلك اعتمد الجرجاني على نظام الكلمات وترتيبها،فتقديم الكلمة وتأخيرها له ارتباط وثيق بالسياق الذي قيلت فيه أثناء العملية التخاطبية وبالمقاصد التي يودّ المتكلم إيصالها للمخاطَب.

التقديم والتأخير عند نوام تشومسكي

لم يبق الاهتمام بأسلوب التقديم والتأخير حبيس الدراسات العربية القديمة، بل أصبح من بين أهم قضايا النظريات اللغوية الحديثة وفي مقدمتها النظرية التوليدية التحويلية لنوام تشومسكي. والتقديم والتأخير من أهم الطرق التحويلية التي أشار إليها تشومسكي في نظريته الواردة في كتاب (البنى التركيبية) 1957... فلكل لغة نظام خاص تتآلف حسبه مكونات الجمل من فعل وفاعل ومفعول، ولكل من هذه المكونات مكان خاص أو رتبة معينة يحتلها داخل التركيب، غير أن هذا النظام ليس ثابتا في جميع أحواله، وإنما يمكن الخروج عنه بتغيير رتب مكوناته دون حدوث أي خلل يمس المعنى العميق الحقيقي له[2].

[1]- أحمد درويش، دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث ، ص88

[2]- عالية زروقي، اللسان العربي، دورية متخصصة محكمة ،جامعة الدول العربية، مطبعة ومكتبة الأمنية، الرباط،ص 86

يقول تشومسكي:" ونجد في بعض اللغات أن الترتيب هو: الفعل- الفاعل- المفعول، وهو خروج فيما يبدو على المبدأ، (...) وهناك دليل في الواقع على إن البنية الأساس للجملة في مثل هذه اللغات هي(م س- م ف)، وإن الفعل ينتقل إلى بداية الجملة بصورة تشبه ما يحدث في الترتيب النسبي في اللغة الاسبانية"[1]

إذن؛ فهو يعطي القاعدة العامة التي تسمح بترتيب الوحدات اللغوية داخل التركيب ويرجع تغيير هذا الترتيب لاختيارات اللغة المعينة، كما يرجع الاختلاف في هذا التغيير إلى الاختلاف الموجود بين اللغات نفسها[2].

وفي نفس السياق فقد اعتنى تشومسكي بالتراكيب الاستفهامية وعالج الجمل التي تفيد الاستفهام بشتى أغراضها مستشهدا بالأمثلة التالية:

* فعل التركيب في زمن الماضي (past)

الجملة المثبتة: John gave the book to bill

تتحول إلى: DidJohn gave the book to bill ?

* فعل التركيب في زمن المستقبل (future)

الجملة المثبتة: I shall go downtown

[1]- عالية زروقي، اللسان العربي ، ص88/87

[2]- المرجع نفسه ، ص 88

تتحول إلى جملة استفهامية من خلال الإبدال المكاني للمكونين (I) و(shall)إلى:[1]

Shall I go downtown ?

كانت هذه التحويلات الخاصة بتوليد الجمل الاستفهامية انطلاقا من تغيير الترتيب في مكونات الجمل المثبتة،حيث يحدث إبدال بين العناصر فيتقدم الثاني ويتأخر الأول، ويرى تشومسكي أن المعنى يختلف بحسب اختلاف ترتيب عناصر الجملة، فالمقدم هو الذي يحظى بالعناية و الاهتمام لأنه يعكس مقاصد المتكلم.

يكاد تشومسكي بعد إدراكه لقيمة الدلالات المتوخاة من التراكيب اللغوية وما يطرأ عليها من تحولات اختيارية أن يقترب مما توصل إليه الجرجاني؛حيث انصب بحث الأول على جملة القواعد النحوية التي تحكم اللغات الإنسانية عامة وهذا بهدف إثبات قدرة الإنسان على الإنتاج اللغوي والإبداع، في حين كشف الثاني عن العلاقات التي تربط الوحدات اللغوية وفق نظام نحوي محكم وأي تغيير في ترتيبها يؤدي إلى تغيير المعنى المتوخى منها.

[1]- المرجع نفسه، ص 94

2- حجية القول في الحذف

يحتل مبحث الحذف والإضمار مكانة مهمة في الدراسات النحوية والبلاغية ويقر العلماء أن " للحذف قاعدة عامة يطّرد تحتها ومضمونها : أن الحذف جائز في كل ما يدل الدليل عليه،بشرط ألا يتأثر المعنى،أو الصياغة بحذفه تأثرا يؤدي إلى عيب و فساد لفظي أو معنوي"[1]

أما اهتمام الإمام عبد القاهر بظاهرة الحذف فقد اتضح في قوله: "هو باب دقيق المسلك لطيف المأخذ،عجيب الأمر، شبيه بالسحر،فأنك ترى به ترك الذكر،أفصح من الذكر والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق،وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن،وهذه جملة قد تنكرها حتى تخبر وتدفعها حتى تنظر"[2]

يشير إلى المعنى البلاغي للحذف ويُكبر مكانته، ويُعلي من شأنه جاعلا منه بابا لطيفا غريبا،أشبه بالسحر الذي يبهر النفوس وذلك لما له من أثر في إثراء المعنى دون الحاجة إلى لفظ،إذ أن أسلوب التلميح في القول أبلغ من القول نفسه، والصمت أحيانا أنجع وأشدّ وقعا على النفوس.

[1]- ابن فارس ،أبو الحسين أحمد ، الصاحبي ، تحقيق مصطفى الشويمي ،بيروت ، 1964 ،ص205

[2]- - عبد القاهر الجرجاني ،دلائل الإعجاز ،ص149

الحذف لغة

جاء في لسان العرب لابن منظور تعريف الحذف كما يلي: "حذف الشيء يحذفه حذفا قطعه من طرفه ... والحذافة ما حذف من شيء فطرح"[1]

وجاء في معجم العين للخليل الحذف"هو قطف الشيء من الطرف"[2] فالحذف هنا هو عملية قطف الشيء والقطف " هو أخذ شيء من شيء "[3]

أما في جمهرة اللغة فيقول ابن دريد" وحذفت رأسه بالسيف حذفا إذا ضربته به فقطعت منه قطعة .وحذفت الفرس أحذفه حذفا إذا قطعت بعض عسيب ذنبه "[4]

ويقول الجوهري في الصحاح "حذف الشيء إسقاطه يقال حذفت من شعري ومن ذنب الدابة أي أخذته "[5]

يتضح من هذه التعريفات أن المعنى اللغوي للحذف يدور حول القطع والقطف والإسقاط.

[1]- ابن منظور ، لسان العرب ، ص39

[2]- الخليل بن أحمد الفراهيدي ،كتاب العين، ص 201 .

[3]- أحمد بن فارس ، مقاييس اللغة ، ج5، ص103

[4]- ابن دريد الأزدي ، جمهرة اللغة ، مكتبة المثنى ، بغداد ، 1924، ص161 .

[5]-الجوهري، الصحاح، تحقيق: إميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية ، ط1، بيروت، لبنان، 1999، ص38

الحذف اصطلحا

الحذف والذكر من القضايا النحوية والمسائل البلاغية التي تناولها اللغويون القدامى والمحدثين بالشرح والتفصيل، حيث عرّفه ابن خفاجة"بأنه إسقاط كلمة لدلالة فحوى الكلام عليه"[1]

ويرى البقلاني "بأنه الإسقاط للتخفيف"[2]وفي مثل ذلك يقول المرتضى:"والحذف غير الاختصار وقوم يظنون أنهما واحد وليس كذلك، لأن الحذف يتعلق بالألفاظ وهو أن تأتي بلفظ يقتضي غيره ويتعلق به ولا يستقل بنفسه، ويكون في الموجود دلالة على المحذوف فتقتصر عليه طلبا للاختصار..."[3]

أما عند المحدثين فقد عرّفه مبارك بأنه " أن نحذف صوتا أو مقطعا أو كلمة أو عبارة من تركيب ما وذلك وفقا لما يسمح به نظام اللغة، كحذف الفعل أو الفاعل أو المفعول به إذا دلّت عليه قرينة ما "[4]

يتبيّن اختلاف مفهوم الحذف عند النحاة واللغويين؛ بين الإيجاز والاختصار والإضمار والاقتصار، وغيرها من المفاهيم المتقاربة.

---

[1]– عبد الله الخفاجي ، سر الفصاحة ، دار الكتب العلمية ، ط1، بيروت، لبنان، 1988، ص211

[2]– تمام حمد عبد المنيزل، الحذف في النحو العربي ، مؤسسة حمادة للنشر و التوزيع بالاشتراك، ط 1 ، الأردن، 2012 ، ص16

[3]– ينظر ، المرتضى الشريف علي بن الحسن الموسوي العلوي، غرر الفوائد و ذرر القلائد المشهور بأماني المرتضى ، تح مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم ، بيروت، دار الكتاب العربي ، ط2، المجلد 2، 1968 ، ص02

[4]– تمام حمد عيد المنيزل، الحذف في النحو العربي، 2012، ص16

ومن هذا المنطلق يُعدّ الحذف فنا من فنون العرب المتجلية في كلامهم شعره ونثره إذ كان يراد به التسهيل والتخفيف فضلا عن تزيين أسلوب الكلام وجعله أكثر إثارة وتعبيرا في النفوس،إذ يقول ابن فارس: "ومن سنن العرب الحذف والاختصار"[1]

واحتج الجرجاني على ظاهرة الحذف في اللغة العربية بقول سديد دعّمه بشواهد من الشعر العربي الذي يتماشى والذوق العربي، إضافة إلى أن الشعر يُعدّ من الشواهد الحجاجية الجاهزة التي تتمتع بكثرة الأساليب اللغوية النحوية والصرفية التي يمكن استخراج منها ما لا يعد ولا يحصى من قواعد اللغة العربية، ناهيك عن جمالية الأسلوب وفخامة اللفظ، وتعدد الدلالات والمعاني، ولكل شاهد من الشواهد المقدمة قاعدته النحوية الخاصة به.

وها هو يقيم الحجة في دلائله على معارضيه مماأنشده شيخه سيبويه:

"اعْتَادَ قَلْبُك مِنْ لَيْلَى عَوَائدُهُ وهَاجَ أهْوَاءَك المَكْنُونَة الطَّلَل

ربعٌ قواء أذَاعَ المُعصِرَات بِهِ وكُلُّ حَيْران سار ماؤُهُ خضل

قال : أراد ،ذاك ربع قواء أو هو ربع. قال ومثله قول آخر :

هَلْ تَعْرِفُ اليَوم رَسْمَ الدَّار والطَّلَلا كَمَا عرفت بِجفْن الصَّيقَل الخَلَلا

[1]- ابن فارس، أبو الحسين أحمد، الصاحبي ، ص205

دَاءٌلموة إذ أهْلِي وأهْلُــهُم بالكانِسيَّة نَرْعَى اللَّهْو والغَزَلا

كأنه قال: تلك دار. قال شيخنا رحمه الله : ولم يحمل البيت الأول على أن الربع بدل الطلل لأن الربع أكثر من الطلل والشيء يبدل مما هو مثله أو أكثر منه، فأما الشيء من أقل منه ففاسد لا يتصور.وهذه طريقة مستمرة لهم إذا ذكروا الديار والمنازل"[1]

يستشهد الإمام عبد القاهر في هذا القول بكلام شيخه ،ويشير إلى شيوع هذا النمط من الكلام عند العرب.

ومن حذف الأسماء التي يتناولها الإمام عبد القاهر حذف المبتدأ وخصه بباب في كتابه، ورأى أن عدم إظهاره أحسن من ذكره، قائلا : "ومن المواضع التي يطرد فيها حذف المبتدأ، (القطع والاستئناف)، يبدأون بذكر الرجل، ويقدمون بعض أمره، ثم يدعون الكلام الأول، ويستأنفون كلاما أخر، وإذا فعلوا ذلك، أتوا في أكثر الأمر بخبر من غير مبتدأ"[2]

نستخلص من هذا القول وجود قرينة تسوغ وقوع الحذف، وهذه القرينة هنا قرينة لفظية وذلك يعني أن وجود الدليل شرط لوقوع الحذف، إذا وقعت الإشارة في موضع

[1]- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص149

[2]- عبد القاهر الجرجاني ، ص150

سابق للموضع الذي وقع فيه الحذف[1].إذن؛ لا بد من وجود دليل يدل على حذف المبتدأ، فيُقطع الكلام ثم يُستأنف على شكل خبر لما حُذف.

ومثال ذلك قوله:

إذَا ذَكَرَ آبنَا العنْبَرِيَّة لمْ تضقْ ذِرَاعِي وألْقَى باسته مِن أفَاخِر

هِلَالَان حَمَّالَان فِي كُلِّ شتوة مِنَ الثِّقَل مَا لَا تسْتَطِيع الأبَاعِر

حمالان خبر ثان وليس بصفة كما يكون لو قلت مثلا :(رجلان حمالان)"[2]

وقول آخر :

"سَأَشْكُرُ عُمَرًا إنْ تَرَاخت منيَّتِي أيَادِي لَمْ تُمْنَنْ وَإنْ هِيَ جَلَّت

فَتى غيْر محْجُوب الغِنَى عَنْ صَدِيقِه وَلَا مظْهِر الشَّكْوَى إذَا النَّعْل زَلَت"[3]

والأصل: (هو فتى)، والفتى هنا خبر لمبتدأ مقدر بالضمير المحذوف (هو).

ومن ذلك أيضا:

"سَرِيعٌإلَى ابْن العَمِّ يَلْطمُ وجْهَهَ وليْسَ إلَى دَاعَي النَّدَى بِسَرِيع

حَرِيصٌ عَلَى الدُّنْيَا مُضَيّعٌ لِدِينِه وَلَيْسَ لما فِي بَيْتِهِ بِمُضَيّع "[4]

---

[1]- سعيد حسن بحيري، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية و الدلالة، ص 250

[2]- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص150

[3]- المصدر نفسه ، ص151

[4]- المصدر نفسه ، ص152

يرتكز الجرجاني على شواهد كثيرة من الشعر العربي القديم، وهي من أبرز الحجج القوية والجاهزة التي يستعين بها المتكلم للوصول إلى أهدافه المرجوة وأغراضه الحجاجية.

يربط الجرجاني الحذف في هذه الأبيات بنفسية الشاعر،ويصل النظم بالأغراض التي من أجلها نُظّمت هذه القصائد، وها هو يخاطب القارئ قائلا :" فتأمل الآن هذه الأبيات كلها واستقرها واحدا واحدا وأنظر إلى موقعها في نفسك وإلى ما تجده من اللطفوالظرف إذا آنت مررت بموضع الحذف منها ثم قلبت النفس عما تجد و ألطفت النظر فيما تحس به.ثم تكلف أن ترد ما حذف الشاعر و أن تخرجه إلى لفظك و توقعه في سمعك فإنك تعلم أنالذي قلتُ كما قلتُ، وأن رُبّ حذف هو قلادة الجيد، و قاعدة التجويد"[1]

وقوله هذا دليل صريح على الأثر البالغ الذي يخلّفه حذف المبتدأ في نفسية المتلقي من حيرة واندهاش وتفاعل مع ما يُقال بالإضافة إلى بلاغة وجمالية الأسلوب، يقول الدكتور عبد الفتاح لاشين في هذا الشأن " الحذف هو التخفيف من ثقل الكلام وعبء الحديث، ومن منا لم يفضل الخفة على الثقل ما دامت الخفة هي المطلوبة والمقام يستدعيها، والحال يطلبها، ففي الخفة تلك تكمن البلاغة ويسمو الكلام حتى يصل إلى قوة السحر في

[1]- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ا ص152

التأثير وتكون الجملة مع الحذف لأشد وقعا على النفس وأتم بيانا وأفصح من الذكر "[1] أي أن الحذف له علاقة بالموقف والغرض الذي قيل لأجله، ولإخفاء بعض العناصر داخل التركيب دور بارز في تحريك مخيّلة المتلقي الذي يسعى جاهدا لاستنباط المعنى المقصود وفهمه.

وفي نفس السياق، فقد شغل الحذف حيزا كبيرا في دراسات سيبويه، حتى صار صاحب نظرية الحذف لكثرة الاستعمال، واشترط في استعماله أن يكون السامع على دراية بالمحذوف؛ أي يستطيع المخاطبَ أن يدرك صورة المحذوف من سياق الكلام.

ويبيّن صاحب الكتاب الفائدة من الحذف وما يخلفه من أثر دلالي في الكلام،ومن أهم المحذوفات التي ألح على حذفها هي المبتدأ إذا دلّ عليه دليل حيث نجده يقول في (باب يكون المبتدأ فيه مضمرا ويكون المبني عليه مظهرا): "وذلك أنّك رأيت صورة شخص فصار آية لك على معرفة الشخص، فقلت:(عبدُ الله وربي) كأنك قلت: (ذاك عبدُ الله)، أو (هذا عبدُ الله)، أو سمعت صوتا فعرفت صاحب الصوت فصار آية لك على معرفته، فقلت:

[1]- عبد الفتاح لاشين ، التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني ، دار المرين، الرياض، (دط)، ص159

(زيد ورُبَى) أو مسست جسدا، أو شممت ريحا :فقلت: (زيد) أو (المسك) أو ذُقت طعاما، فقلت : (عسلُ) ..."[1] .

يشترط سيبويه في حذف المبتدأ وإضماره أن يدرك السامع صورة هذا المضمر من خلال السياق، ولذا فهو يُلح على ضرورة وجود القرينة عند إرادة الحذف والإضمار وهي ههنا ترتبط بفكرة المقام الذي يدور فيه الكلام ،وعندئذ يكون الحذف مؤديا دوره البلاغي.[2]

وهنا نلمح مدى اتفاق الجرجاني مع شيخه في اشتراط وجود قرينة تدل على حذف المبتدأ في سياق الكلام.لاسيما أن شيخه كان سباقا لتناول جل صور الحذف، ودلّ عليها بالحجج والإثبات، وإدراك أغراضه البلاغية من إيجاز واختصار.

ويمضي الجرجاني مؤكدا على الظاهرة ،مستدلا عليها مرات عديدة ،وتكراره هذا دليل على عمق فكره واتساع ثقافته، فيقول:"وإن أردت ما هو أصدق في ذلك شهادة، وأدلّ دلالة، فانظر إلى قول لعبد الله بن الزبير :

"عَرَضْتُ عَلَى زَيْد ليَأْخُذَ بَعْضَ مَا يُحَاوِلُه قَبْل اعْتِرَاض الشَّوَاغِل

[1]- سيبويه، ، الكتاب، ج2، ص130

[2]- ينظر: أحمد سعد محمّد ، الأصول البلاغية في كتاب سيبويه و أثرها في البحث البلاغي ، ص 86

فَدَبَّ دَبِيبُ البَغْلِ يَأْلمُ ظَهْرَهُ وَقَالَ تَعْلَمُ أنَّنِي غَيْرَ فَاعِل

تَثَاءَبَ حَتَّى قُلْت دَاسِع نَفْسه وأخْرَجَأنْيَابًا لَهُ كالمُعَاول"[1]

ويعلق عليه قائلا "(هو داسع نفسه) أي حسبته من شدة التثاؤب و مما به من الجهد يقذف نفسه من جوفه ويخرجها من صدره كما يدسع البعير جرته.ثم إنك ترى نصبة الكلام وهيئته تروم منك أن تنسى هذا المبتدأ أو تباعده عن وهمك، وتجتهد أن لا يدور في خلدك ولا يعرض لخاطرك،وتراه كأنك تتوقاه توقي الشيء يكره مكانه،والثقيل يخشى هجومه.."[2]

من الملاحظ أنه لم يكتف بوصف الحذف فحسب؛ بل توغل في تحليله مرتكزا على المخاطَب وحسّه وذوقه، مقتصرا على الأثر النفسي علة جوهرية للعدول عن نظام الجملةالمكتملة العناصر؛ (أي في هيئة الذكر) إلى نظام الجملة في هيئة الحذف (أو الإضمار)[3]

وهكذا فقد سنّ الجرجاني قواعد تحكم حذف المبتدأ فيقول:"فما من اسم أو فعل تجده قد حذف ثم أصيب به موضعه وحذف في الحال ينبغي أن يحذف فيها إلاّ وأنت تجد

[1]- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 152

[2]- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 152

[3]- ينظر: سعيد حسن بحيري ، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة ، ص 251ا

حذفه هناك أحسن من ذكره،وترى إضماره في النفس أولى وآنس من النطق به"[1] أي أن إضمار المبتدأ يكون فيه معاني لا توجد في ذكره والإفصاح عنه، بل تنبع من تراكيب الكلام،وهو ما يعكس ما اتسم به العرب قديما من مهارة وروعة في القول شعرا كان أم نثرا ويجسد أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز التي نتذوقها من القرآن الكريم.

ومن أساليب الحذف التي تناولها الجرجاني في كتابه ،نجد أيضا حذف المفعول، وقد عرض مختلف الشواهد في هذا المجال، مبينا ضوابط حكمه وإجراءاته ، قائلا :"وإذ قد بدأنا في الحذف بذكر المبتدأ وهو حذف الاسم، إذ لا يكون المبتدأ إلا اسما فإني أتبع ذلك ذكر المفعول به إذا حذف خصوصا، فإن الحاجة إليه أمس، وهو بما نحن به أخص واللطائف كأنها فيه أكثر، و ما يظهر بسببه من الحسن والرونق أعجب وأظهروها هنا أصل يجب ضبطه، وهو أن حال الفعل مع المفعول الذي يتعدى إليه حاله مع الفاعل، وكما أنك

إذا قلت: (ضرب زيد)، فأسندت الفعل إلى الفاعل كان غرضك من ذلك أن تثبت الضرب فعلا له لا أن تفيد وجود الضرب في نفسه وعلى الإطلاق"[2]

يشير في هذا النص إلى الأهمية التي يكتسيها حذف المفعول في بلاغة الكلام شارحا الحالات التي يرد فيها الاستغناء عنه خاصة مع الأفعال المتعدية، إذ يقول :"إذا

[1]– عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 153

[2]– عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 154

عديت الفعل إلى المفعول فقلت : (ضرب زيد عمرا)، كان غرضك أن تفيد التباس الضرب الواقع من الأول بالثاني ووقوعه عليه، فقد اجتمع الفاعل والمفعول في أن عمل الفعل فيهما إنما كان من أجل أن يعلم التباس المعنى الذي اشتق منه بهما ...ولم يكن ذلك ليعلم وقوع الضرب في نفسه بل إذا أريد الإخبار بوقوع الضرب ووجوده في الجملة من غير أن ينسب إلى فاعل أو مفعول أو يتعرض لبيان ذلك فالعبارة فيه أن يقال:(كان ضرب) أو(وقع ضرب)أو(وجد ضرب) "[1] أي أن المفعول قد يُحذف مع الفعل المتعدي لضرورة يقتضيها السياق مع ترك ما يدلّ عليه في التركيب.

ثم يمضي بالشرح والتفصيل ليُثبت هذه الفكرة قائلا :" فاعلم أن أغراض الناس تختلف في ذكر الأفعال المتعدية، فهم يذكرونها تارة ومرادهم أن يقتصروا على إثبات المعاني التي اشتقت منها للفاعلين من غير أن يتعرضوا لذكر المفعولين، فإذا كان الأمر كذلك كان الفعل كغير المتعدي مثلا في أنك لا ترى له مفعولا لا لفظا ولا تقديرا"[2]

[1]- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 154

[2]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها

يحلّل هنا الأغراض التي تستدعي حذف المفعول وهي تختلف من إنسان لآخر، فقد تكون بإثبات الفعل للفاعل دون المفعول "ومثال ذلك قول الناس: "(فلان يحل ويعقد)، و(يأمر وينهى)، و(يضر وينفع) وكقولهم: (هو يُعطي ويُجزل)و(يقري ويضيف)"[1]

يوضح من خلال أمثلته صور حذف المفعول في الأفعال المتعدية، حيث يمكن تقديره من تركيب السياق، وهو ما من شأنه أن يثير انتباه المتلقي وتركيزه قصد معرفة مواضع المحذوف وفهم مقاصد المتكلم.

لم يكتف بالاحتجاج على جمال حذف المفعول به من خلال النصوص الشعرية والنثرية بل تعداه إلى الاحتجاج بالقرآن الكريم باعتباره من الشواهد الحجاجية القوية التي اعتمد عليها في للتأكيد على صحة نظريته، وذلك في قول الله تعالى: "**{قُلْ هَلْ يَسْتَوي الذّينَ يَعْلَمُونَ وَالذّينَ لاَ يَعْلَمُونَ}**[2].المعنى هل يستوي من له علم ومن لا علم له؟ من غير أن يقصد النصعلى معلوم"[3]. أي أنه لا يمكن مقارنة الذّين يعلمون أمور دينهم وآخرتهم بالذّين لا يعلمون من هذه الأمور شيئا.

[1]- المصدر نفسه ، الصفحة نفسها

[2]- سورة الزمر ، الآية 09

[3]- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 155

وقوله تعالى :{وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبكَى، وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَى}[1]،وقوله تعالى:{وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى}[2].

تعكس هذه الآيات خطابا حجاجيا أُضمرت معانيه الدّالة على قدرة الله تعالى وعظمته وحُذف المفعول فيها رغم أن أفعال (أضحك وأبكى وأمات وأحيى وأغنى وأقنى) كلها متعدية، إلاّ أن سياق الآيات يظهر مدى ارتباط معنى هذه الأفعال وتعلقها بالفاعل دون ذكر المفعول، ويُفسر ذلك الجرجاني قائلا:"المعنى هو الذي منه الإحياء والإماتة والإغناء والإقناء، وهكذا كل موضع كان القصد فيه أن يثبت المعنى في نفسه فعلا للشيء وأن يخبر بأن من شأنه أن يكون منه أو لا يكون إلا منه أو لا يكون منه، فإن الفعل لا يعدى هناك؛ لأن تعديته تنقص الغرض وتغير المعنى"[3]

يؤكد في هذا النص على أن حذف المفعول له علاقة مباشرة بسياق الحديث؛إذ أن السامع أو المتلقي يهتدي إلى المعنى المقصود من خلال تقدير منزلة العنصر المحذوف في الجملة وهو ما دعى إليه ضمن نظريته؛ فالفعل يرتبط بفاعله ومفعوله بواسطة روابط نحوية أساسية في التركيب.

[1]- سورة النجم ، الآية 44/43

[2]- سورة النجم ، الآية 48

[3]- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 155

ويواصل تحليلاته لبيان قيمة الحذف في النظم القرآني فيقول :"وإذا أردت أن تزداد تبيينا لهذا الأصل أعني وجوب أن تسقط المفعول لتتوفر العناية على إثبات الفعل لفاعله ... فانظر إلى قول الله تعالى[1]:**{وَلَمَّاوَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْه أُمَّةًمِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امِرَأَتَينِ تَذُوَدَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لاَ نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاء وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِ}**[2]

يظهر الحجاج الحواري في هذه الآية بشكل بارز من خلال العملية التخاطبية التي دارت بين سيّدنا موسى عليه السلام والمرأتين ويستأنف الجرجاني قوله شارحا:" ففيها حذف مفعول في أربعة مواضع ، إذ المعنى وجد عليه أمة من الناس يسقون (أغنامهم أو مواشيهم)، وامرأتين تذودان (غنمهما)، وقالتا لا نسقي (غنمنا) فسقى لهما (غنمهما) .ثم أنه لا يخفى على ذي بصر، أنه ليس في ذلك كله إلا أن يترك ذكره ويؤتى بالفعل مطلقا...فأعرفه لم تجد لحذف المفعول في هذا النحو من الروعة والحسن ما وجدت إلّا لأن في حذفه و ترك ذكره فائدة جليلة وأن الغرض لا يصح إلَّا على تركه "[3].

[1]- المصدر نفسه ، ص 160

[2]- سورة القصص ، الآية 24/23

[3]- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 160

يُبيّن الجرجاني أن الآية المذكورة تنطوي على أربعة مواضع حُذف فيها المفعول وهي:يسقون (أغنامهم أو مواشيهم)،تذودان (غنمهما)، نسقي (غنمنا)،فسقى لهما (غنمهما) وقد وُجد هذا الحذف لغرض بلاغي هو إثبات الفعل للفاعل بعد حذف مفعوله الذي يُستنتج منسياق الآية ولا حاجة لذكره.

يكشف الإمام عبد القاهر من خلال هذه الشواهد عن الأسرار البلاغية والنفسية الخفية التي يحملها الحذف في طيّاته، فهو يوحي بوجود دلالات ضمنية ومعاني غائبة عن السطح لا يمكن معرفتها إلاّ بعد الاجتهاد والتركيز في السياق الذي ورد فيه النص القرآني حيث أرجع إعجازه إلى بلاغة هذه التراكيب وحسن نظمها.

كما أرجع للحذف الفضل في تحقيق تماسك النص وتلاحمه؛فالجمل والعبارات المحذوفة تساهم في ربط ونسج أجزاءه، وهو ما توصل إليه علماء التداولية الحديثة؛ حيث يُعد الحذف عند بعضهم، من قواعد التماسك النحوي التي أشار إليها، وتناولها بالتوضيح والتمثيل كل من **فان ديك** و**رقية حسن** وآخرون...وهو لا يقتصر عندهما على كلمة أو مفردة أو مركب اسمي (مبتدأ) وإنما قد يكون حذف جملة كاملة، فيؤدي حذفها إلى ربط أجزاء من الخبر وجعل الجمل المتعددة كالجملة الواحدة، لا تستطيع التفريق بين أجزائها، أو

أن تُميّز إحداها عن الأخرى[1]. فمن الواضح أن العلماء المحدثين قد أيقنوا أهمية الحذف في ربط الكلام وسبكه واتّخذوه ركيزة لمختلف أبحاثهم في مجال لسانيات النص.

الحذف ومتضمنات القول

اعتنى الجرجاني في دلائله بظاهرة الحذف لأنها من أهم القضايا البلاغية التي تتجلى فيها أسرار النظم ومزاياه،ومن الآليات التي ترتبط بالسامع،ودرجة درايته بالخطاب ودواعيه وهو حذف بعض الكلام لدلالة الباقي عليه[2]. وهو ما اهتمت به التداولية،حيث تتفرع متضمنات القول إلى فروع أهمّها:

*** الافتراض المسبق**

يتم إدراك هذا النوع من متضمنات القول عن طريق المعطيات اللغوية التي يتضمنها القول فهو يشكل الخلفية التواصلية الضرورية الكفيلة بإنجاح العملية التواصلية،تقول **أوريكيوني Orecchioni**" هو تلك المعلومات التي لم يفصح عنها ،فإنها وبطريقة آلية مدرجة في القول الذي يتضمّنها أصلا بغض النظر عن خصوصيته"[3]

[1]- إبراهيم محمود خليل ، في اللسانيات ونحو النص ، ص235

[2]- ينظر: خليفة بوجادي ،في اللسانيات التداولية ،بيت الحكمة للنشر والتوزيع ،ط1، 2009، ص 182

[3]- ذهبية حمو الحاج،لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب،الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو،2012 ،ص136

وتعني أن المتخاطبين خلال ممارستهم للحدث الكلامي ينطلقون من معطيات مدركة مسبقا بناء على معلومات مشتركة بينهم تكون بمثابة ضمان جيد لحسن سير العملية التواصلية. مثلا: قولنا (أغلق الباب)و(لا تغلق الباب) ،ففي القولين السابقين مضمون الافتراض المسبق هو أن (النافذة مفتوحة).

أما **ديكروDucrot**فقد تحدث هذه الافتراضات المسبقة قائلا" أما الافتراضات المسبقة فإن كان لها وظيفة فهي تمثل الشرط الأساس للتماسك العضوي للخطاب"[1]

يبيّن في هذا القولالدور الفعال الذي تؤديه هذه الافتراضات المسبقة في الحوار حيث أنها تضمن تماسك الأقوال كأنها نص واحد،وتوجهها نحو المرامي التي تصبو إليها،ولا يمكن الاستغناء عنها في الحوار لأن فقدانها سيؤدي بالضرورة إلى سوء التفاهم بين المتخاطبين وفشل العمل التخاطبي ككل.

*** الأقوال المضمرة**

هي النمط الثاني من متضمنات القول ترتبط بوضعية الخطاب،ومقامه على عكس الافتراض المسبق ،الذي يحدد على أساس معطيات لغوية،تقول أوريكيوني: " القول المضمر هو كتلة المعلومات التي يمكن للخطاب أن يحتويها،ولكن تحقيقها في الواقع يبقى

[1]- المرجع نفسه ، ،ص 197/196

رهن خصوصيات سياق الحديث"[1] أي أن أثناء التبادل الخطابي تكون نية المتحدث حمل المستمع على تأويل كلامه فيجتهد هذا الأخير ليستنبط سلسلة من التأويلات حسب السياقات الواردة فيها،مثلا عند قولنا(اقترب فصل الصيف) يمكننا أن نستنتج مجموعة من التأويلات المفتوحة أهمها: الاستعداد لموجة حر ، التحضير للذهاب إلى البحر ، تحضير الملابس والأغذية المناسبة.

يتضح من خلال ما سبق أن متضمنات القول تنتمي إلى قائمة الأدوات الإجرائية المتخذة في التحليل التداولي المعاصر إلاّ أن الفرق بين شقيها –الافتراض المسبق والقول المضمر– يكمن في كون الأول وليد ملابسات الخطاب أما الثاني فهو وليد السياق الكلامي.

ويلتقي موضوع الحذف عند الجرجاني وارتباطه بالسامع بمفهوم الافتراض المسبق الذي هو أحد مجالات اللسانيات التداولية الحديثة،ويهتم بدراسة المعارف المشتركة بين المتكلم والسامع،أو بين ما ينبغي أن يكون معروفا،أو يُفترض العلم به سابقا قبل إجراء الخطاب[2].

[1]– مسعود صحراوي ،التداولية عند العلماء العرب ،ص32

[2]– خليفة بوجادي ،في اللسانيات التداولية ، ص 184.

فقد يعمد المتكلم أحيانا إلى حذف واختزال بعض العناصر من كلامه بهدف تحقيق الإيجاز وإضمار المعاني التي يقصدها عن المخاطب الذي يسعى بدوره إلى فك رموز هذه المضمرات باعتماده على جملة من الاستدلالات والافتراضات المسبقة التي من شأنها أن تيسر له عملية تأويل ما قيل واستنتاج الأغراض المقصودة.

كما انصب تركيز الجرجاني في نظريته على نفسية المخاطَب باعتباره أحد أقطاب العملية التواصلية بالنظر إلى سياقاتها الخطابية،وتنبّه إلى الأثر الذي يحدثه الحذف فيه منخلال عرض نصوص شعرية كثيرة،فأشار إلى إضمار الفعل و إعماله محذوفا بقوله: "وكما يضمرون المبتدأ فيرفعون فقد يضمرون الفعل فينصبون كبيت الكتاب أيضا :

دِيَارَ ميّة إذ ميّ تسَاعِفُنَا وَلَا يَرَى مثْلُها عَجَمٌ وَلَا عَرَب

أنشده بنصب ديارَ على إضمار فعل كأنه قال : أذكر ديارَ مية "[1].

من الواضح أن الجرجاني ربط هذه المواقف الخطابية بأغراض ومقاصد الشاعر التي يرمي إلى إيصالها بطريقة غير مباشرة وما على المخاطَب إلاّ تقدير المحذوف في القول بغية الوصول إلى غايته وهي المعنى المقصود.

[1]- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ،ص 150

وبعد كثرة التفسير، يرجع الإمام يخاطب معارضيه،بقوله:"قد بان الآن واتضح لمن نظر نظر المتثبت الحصيف الراغب في اقتداح زناد العقل، والازدياد من الفضل ومن شأنه التوق على أن يعرف الأشياء على حقائقها، ويتغلغل إلى دقائقها ويربأ بنفسه عن مرتبة المقلد الذي يجري مع الظاهر، ولا يعدو الذي يقع في أول الخاطر أن الذي قلت في شأن الحذف، وفي تفخيم أمره،والتنويه بذكرهوأن مأخذه مأخذ يشبه السحر ويبهر الفكرّ؛ كالذي قلت"[1].

وفي خطابه هذا نلمح مدى تفخيمه لبلاغة الحذف، ووقوفه على أهم صورها ووجوهها وحرصه على جعلها من مقتضيات النظم باعتبارها من الأساليب الأكثر تأثيرا وتعبيرا عن المعنى المستتر وراء السطور،ومن الآليات التي تضفي على صناعة الكلام جمالا ورونقا.

3- حجية القول في الفصل والوصل

بعدما اعتنى الإمام عبد القاهر في دلائله بمصطلحات البلاغة العربية من تقديم وتأخير وحذف، هاهو يسلّط الضوء على مبحث لا يقل أهمية عن سابقيه،ألا وهو الفصل والوصل واعتبرهما من أبرز قضايا معاني النحو، وخصّهما بشرح موسع، إذ يقول :"وأعلم أنه ما من علم من علوم البلاغة أنت تقول فيه: أنّه خفيّ وغامض،ودقيق وصعب إلاّ وعلم

[1]- المصدر نفسه، ص 167

هذا الباب أغمض وأخفى، وأدق وأصعب."[1] فالجرجاني كما نلاحظ يحتجّ لموقع الوصل والفصل في البلاغة العربية وفي علاقتها بقضية النظم أو التأليف.

الوصل لغة

جاء في لسان العرب لابن منظور: " وصلت الشيء وصلا وصلة، والوصل ضد الهجران .ابن سيده: الوصل خلاف الفصل.وصل الشيء بالشيء يصله وصلا وصلة... واتصل الشيء بالشيء لم ينقطع "[2]

وورد في تاج العروس: "وصل الشيء بالشيء يصله(وصلا وصلة بالكسر والضم) ووصله توصيلا: (لأمه) وهو ضد فصله، (...)، ووصله إليه وأوصله: أنهاه إليه وأبلغه"[3]

ويعرفه القاموس المحيط : " وصل الشيء بالشيء وصلا وصلة بالكسر، والضم، ووصله: لامه، ووصلك الله بالكسر لغة، والشيء، وإليه وصولا ووصلة: بلفه وانتهى إليه.وأوصله واتصل: لم ينقطع، والواصلة المرأة تصل شعرها بغيرها.والمستوصلة الطالبة لذلك ووصله، وصلا، وصلة، ومواصلة ووصالا"[4]

---

[1]- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص223

[2]- ابن منظور ، لسان العرب ، المجلد الخامس عشر ، ص 224

[3]- الحسيني الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1984،ج31 ،مادة (وصل)، ص78/77

[4]-الفيروز آبادي ،القاموس المحيط ، ص 1410/1409

يتضح من هذه التعريفات أن الوصل في مفهومه اللغوي يعني الاتصال وعدم الانقطاع.

الوصل اصطلاحا

يعرف السكاكي الوصل بقوله : " أعلم أن تميز العطف عن غير موضعه في الجمل كنحو أن يذكر معطوفا بعضها على بعض تارة ، ومتروكا العطف بينها تارة أخرى، هو الأصل في هذا الفن، وإنه نوعان : نوع يقرب تعاطيه، ونوع يبعد ذلك فيه، فالقريب أن تقصد بينهما بغير الواو، أو الواو لكن بشرط أن يكون للمعطوف عليه محل من الإعراب، والبعيد هو أن تقصد العطف بينهما بالواو،وليس للمعطوف عليها محل إعرابي"[1]ويقصد هنا أن الوصل هو(ترك العاطف وذكره) "[2]

ويرى الخطيب القزويني أنّ:" الوصل عطف بعض الجمل على بعض"[3]

ومن هنا فالمعنى الاصطلاحي للوصل يرتبط ارتباطا وثيقا بربط الجمل وعطف بعضها على بعض.

[1]- السكاكي ، مفتاح العلوم ، تح: نعيم الزرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1991 ، ص258

[2]- المصدر نفسه، ص 249

[3]- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة ، تح إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، 2003 ط1 ، ص118

الفصل لغة

ورد في لسان العرب: " الفصل ، بون ما بين الشيئين والوصل (بينهما يفصل فصلا) ، والفصل من الجسد: موضع المفصل وبين فصلين وصل (...) والفيصل الحاكم ، ويقال القضاء بين الحق والباطل "[1]

وجاء في القاموس المحيط : "الفصل الحاجز بين الشيئين، وكل ملتقى عظمين من الجسد كالمفصل ، والحق من القول،ومن الجسد : موضع المفصل، وبين كل مفصلين وصل.

والفاصلة : الخرزة تفصل بين الخرزتين في العظام .وقد فصلا لنظم، وأواخر آيات التنزيل فواصل بمنزلة قوافي الشعر، الواحدة فاصلة[2] "

نستنتج من التعريفين أن المعنى اللغوي للفصل هو القطع والإبانة .

الفصل اصطلاحا

يرى السكاكي أن الفصل " هو ترك العاطف وذكره على هذه الجهات، وكذلك طي الجمل عن البيّن ولا طيّها، وإنّه لمحكّ البلاغة ومنتقد البصيرة،ومنظار النظائر، ومتفاضل

[1]- ابن منظور ، لسان العرب ، ،ج11 ، مادة (فصل) ، ص52

[2]- الفيروز آبادي ، قاموس المحيط ، ص1376

الأنظار ومعيار قدر الفهم (...) وهي التي إذا طبقت فيها الفصل شهدوا لك من البلاغة بالقدح العلي وهذا فضل له فضل احتياج إلى تقرير واف، وتحرير شاف"[1]

وتعرض صاحب كتاب الصناعتين للفصل والوصل وخصّهما بباب كامل سمّاه (في ذكر المقاطع والقول في الفصل والوصل) فيقول: " أن البلاغة إذا اعتزلتها المعرفة بمواضع الفصل والوصل ، كانت كالآلي بلا نظام "[2]

ونجد تعريفا آخرا للفصل، يتبين من خلاله الحالات التي يجب فيها الفصل بين الجمل وهو: " ترك العاطف إما لأن الجملتين متّحدتان مبنى ومعنى ، أو بمنزلة المتّحدتين، وإما لأنه لا صلة بينهما في المبنى والمعنى "[3]

يتضح أن الفصل هو عكس الوصل أي هو ترك حرف العطف والمجيء بالجمل مقطوعة .

الفصل والوصل عند الجرجاني

وبالنظر إلى تعريف الجرجاني للفصل والوصل ،نجد أنّه نبّه كثيرا إلى سر ودقةّ هاتين الخاصيتين الأسلوبيتين قائلا:"أعلم أن العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف

[1]- السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص249

[2]- أبو الحسن العسكري ، الصناعتين ، دار الحياء للكتب العربية ، 1952 ، ص 438

[3]- أحمد مطلوب ، البلاغة والتطبيق ، وزارة التعليم العالي و البحث العلمي ، العراق، ط2 ، 1999 ،،ص 156

بعضها على بعض أو ترك العطف فيها والمجيء بها منثورة تستأنف واحدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة وممّا لا يأتي لتمام الصواب فيه إلاّ الأعراب الخلّص والأقوام طبعوا على البلاغة وأوتوا فنا من المعرفة في ذوق الكلام هم بها أفراد. وقد بلغ من قوة الأمر في ذلك أنهم جعلوه حدا للبلاغة، فقد جاء عن بعضهم أنّه سُئل عنها فقال: (معرفة الفصل من الوصل). ذاك لغموضه ودقّة مسلكه وأنّه لايكمل لإحراز الفضيلة فيه أحد إلاّ كمل لسائر معاني البلاغة."[1] إذن؛ فالجرجاني يحتجّ لموقع ظاهرتي الفصل والوصل بأنّهما حكر على الأعراب وأهل البلاغة من البدو.

وتتضح رؤية الإمام من حيث إنّه ربط إتقان صور البلاغة بمدى إدراك أحكام الفصل والوصل، فهما إجراءان يعبران عن الكفاءة اللغوية للمتحدث وبهما نستطيع أن نستدل على نباهته وفطنته ومدى قدرته على ضبط المعاني لبناء التخاطب البلاغي السليم، فيقول: " لا نعلم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه،فينظر في الخبر إلى الوجوه التي تراها في قولك:(زيد منطلق وزيد نطلق) و(وينطلق زيد ومنطلق زيد)و(زيد المنطلق والمنطلق زيد)و(زيد هو المنطلق وزيد هو منطلق) ... وينظر في الجمل التي تسرد فيعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل، ثم يعرف فيما حقه الوصل موضع (الواو)

[1]- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص215

من موضع (الفاء)، وموضع الفاء من موضع (ثم) و موضع(أو) من موضع (أم) و موضع (لكن) من موضع (بل)"[1] إذن، تتطلب نظرية النظم تحديد موقع الواو والفاء في الفصل والوصل، ويحتجّ الجرجاني لكلامه بوضع قوانين وضوابط تحكم العطف والترك.

يقول الدكتور عبد الفتاح لاشين في هذا السياق :"بحث عبد القاهر (الفصل والوصل) بحثا منظّما يقوم على التقسيم والتحديد والتعليل وربطه بباب العطف بعد أن ربط البلاغة بمعاني النحو"[2]

ثم يُفصّل الجرجاني بكل دقّة في وجوه هذا العطف، فيحتجّ بقوله:"وأعلم أنّ سبيلنا أن ننظر إلى فائدة العطف في المفرد، ثم نعود إلى الجملة فننظر فيها ونتعرّف حالها ،ومعلوم أنّ فائدة العطف في المفرد أن يشرك الثاني في إعراب الأول وأنّه إذا أشركه في إعرابه فقد أشركه في حكم ذلك الإعراب، نحو أن المعطوف على المرفوع بأنه فاعل مثله، والمعطوف على المنصوب بأنه مفعول به أو فيه له شريك له في ذلك."[3]يتضح أن الجرجاني قد وضع حكم عطف المفرد؛ فإذا عطفنا اسما مفردا على آخر،فإنّهما يشتركان في الإعراب من فاعل ومفعول وغيره.

---

[1]- المصدر نفسه ، ص 95/94

[2]- عبد الفتاح لاشين، التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر ، ص 130/129

[3]- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 215

ويحتجّ فيما يخص عطف الجمل بقول آخر :"فإذا كان هذا أصله في المفرد فإن الجمل المعطوف بعضها على بعض على ضربين: أحدهما أن يكون للمعطوف عليها موضع من الإعراب،وإذا كانت كذلك كان حكمها حكم المفرد، إذ لا يكون للجملة موضع من الإعراب حتى تكون واقعة موقع المفرد، وإذا كانت الجملة الأولى واقعة موقع المفرد كان عطف الثانية عليها جاريا مجرى عطف المفرد وكان وجه الحاجة إلى الواو ظاهرا والإشراك بها في الحكم موجودا، فإذا قلت: (مررت برجل خلقه حسن وخلقه قبيح) كنت قد أشركت الجملة الثانية في حكم الجملة الأولى؛ وذلك الحكم كونها في موضع جر بأنها صفة للنكرةونظائر ذلك تكثر والأمر فيها يسهل "[1] فالملاحظ هنا أنّه قد سنّ حكم عطف الجمل على بعضها البعض.

ويواصل حديثه قائلا:" والذي يشكل أمره هو الضرب الثاني: وذلك أن تعطف على الجملة العارية الموضع من الإعراب جملة أخرى كقولك : (زيد قائم وعمرو قاعد) والعلم حسن والجهل قبيح)، لا سبيل لنا إلى أن ندّعي أن (الواو) أشركت الثانية في إعراب قد وجب للأولى بوجه من الوجوه وإذا كان كذلك، فينبغي أن تعلم المطلوب من هذا العطف والمغزى منه ولم يستو الحال بين أن تعطف وبين أن تدع العطف فتقول: (زيد قائم

[1]- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص216

عمرو قاعد)، بعد أن لا يكون هنا أمر معقول يؤتى بالعاطف ليشرك بين الأولى والثانية فيه"[1] يوضح الجرجاني في هذا النص المغزى من عطف الجمل في سياق منطقي يتقبّله العقل.

وراح الإمام يتناول أدوات الوصل بالشرح والتحليل ، فيقول:" أن الفاء توجب الترتيب من غير تراخ و(ثمّ) توجبه مع تراخ و(أو) تردد الفعل بين شيئين وتجعله لأحدهما لا بعينه، فإذا عطفت بواحد منها الجملة على الجملة ظهرت الفائدة"[2]

ويكشف عن مزايا العطف بالواو قائلا:"وليس للواو معنى سوى الإشراك في الحكم الذي يقتضيه الإعراب الذي اتبعت فيه الثاني الأول، كقولنا:(جاءني زيد وعمرو) فالواو هنا لم تفد شيئا سوى إشراك عمرو في المجيء الذي أثبته لزيد والجمع بينه وبينه."[3]يؤكد الإمام من خلال هذه الأقوال أنّ الواو والفاء وكل حروف العطف لا تأتي هكذا عشوائيا، وإنّما هي تُمثّل روابط حجاجية تعمل على ربط الحجج بعضها ببعض وتأكيدها لتُنتج خطابا متماسكا لغويا ودلاليا فكل أداة أو حرف وظيفته داخل السياق الذي يحدّد معاني الكلام

[1]- المصدر نفسه ، الصفحة نفسها

[2]- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص216

[3]- المصدر نفسه ، ص 217

والتخاطب بين المتكلم والمتلقي. واستعان بنماذج حجاجية شعرية ليُدعّم آرائه منها قول الشاعر :

"لا تَطْمَعُوا أنْ تُهِينُونَا وَنُكْرِمُكُمْ وأنْ نَكُفَّ الأذَى عَنْكُمْ وَتُؤْذُونَا

المعنى: لا تطمعوا أن تروا إكرامنا قد وجد مع إهانتكم وجامعها في الحصول"[1]

لجأ الشاعر إلى عطف ثلاث جمل متضادة على بعضها مما زاد المعنى قوّة وبلاغة وهي: (ونُكرمُكم) عُطفت على (أن تُهينُونا) وجملة (وأن نكُفّ الأذى عنكم) عُطفت على جملة (ونكرمكم) وكان العطف في (و تُؤذُونا)على جملة(ونكُفّ الأذى عنكم)

وكأن الإمام يستشعر عدم اقتناع المتلقي بما جاء به،لذلك نجده يدعم ويحتجّ أكثر وأكثر حتى يجعل المتلقي يقتنع كليا بحججه فيما يخص مختلف القضايا البلاغية، بالإضافة إلى أنّه حاول أن يصل النظم بمعاني النحو في هذه الشواهد، وبالأغراض التي من أجلها ينظم الشعراء قصائدهم.

ثم ينتقل إلى الوقوف على مواضع الفصل في قوله: " وأعلم أنه كما كان في الأسماء ما يصله معناه بالاسم قبله فيستغنى بصلة معناه له عن واصل يصله ورابط يربطه

[1]- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 219

وذلك كالصفة التي لا تحتاج في اتصالها بالموصوف إلى شيء يصلها به، وكالتأكيد الذي لا يفتقر كذلك إلى ما يصله بالمؤكد، كذلك يكون في الجمل ما تتصل من ذات نفسها بالتي قبلها، وتستغني بربط معناها لها عن حرف عطف يربطها وهي كل جملة كانت مؤكدة للتي قبلها ومبينة لها، وكانت إذا حصلت لم تكن شيئا سواها، كما لا تكون الصفة غير الموصوف والتأكيد غير المؤكد، فإذا قلت: (جاءني زيد الظريف)و(جاءني القوم كلهم)، لم يكن (الظريف)و(كلهم) غير زيد وغير القوم "[1] ويحتجّ الجرجاني لكلامه بوضع قوانين تحكم الفصل كما هو الحال مع الصفةوالتأكيد ،ومثّل لذلك بقول الله تعالى:"**{ألم ذَلِكَ الكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ}**[2]، قوله: (لاريب فيه) بيان وتوكيد وتحقيق لقوله (ذلك الكتاب)، وزيادة تثبيت له وبمنزلة أن تقول:(هو ذلك الكتاب، هو ذلك الكتاب) فتعيده مرة ثانية لتثبته، وليس يثبت الخبر غير الخبرولا شيء يتميز به عنه فيحتاج إلى ضام يضمه إليه ، وعاطف يُعطفه عليه"[3]

[1]- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز، ص 219

[2]- سورة البقرة، السورة 02

[3]- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص220

وقوله تعالى :**{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِم أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَة وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}**[1]

فيقول:" قوله تعالى (لا يؤمنون) تأكيد لقوله(سواء عليهم أأنذَرتهم أم لم تنذرهم)، وقوله(ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم) تأكيد ثان أبلغ من الأول، لأن من كان حاله إذا أنذر مثل حاله إذا لم ينذر، كان في غاية الجهل ،وكان مطبوعا على قلبه لا محالة".

فالملاحظ هنا أنّه يستعين في كل مرة بنماذج حجاجية من الذكر الحكيم ليثبت أنّ غياب روابط العطف بين الجمل في الآيات يزيدها توكيدا للمعنى الذي يُستنبط من سياقها وهو ما حقق اتساقا وترابطا بين هذه النصوص ،ولا يفتأ الجرجاني يؤكد أنّ العطف لا يروق في كل سياق، ولا يعذب في كل حين، وقد يستحسن تركه والاستغناء عنه على ما فيه من الضرورة ، وقد لا يؤدي تركه إلى افتراق الجمل والعبارات وتجريدها من الترابط، بل يبدو الكلام خاليا من العطف أشد ترابطا منه في وجوده"[2] فالفصل أيضا عامل من عوامل التماسك النصي.

[1]- سورة البقرة ، الآية 06

[2]- إبراهيم محمود خليل ، في اللسانيات ونحو النص ، ص 227

ونظير ذلك تعرض شيخه سيبويه لمسألة الفصل والوصل، واعتبرهما من المباحث النحوية الهامة، فالوصل عنده يعني العطف بنوعيه؛ عطف الاسم المفرد على الآخر وعطف الجمل بعضها على بعض.

أما الفصل فهو إما كمال اتصال أو استئناف وله إشارة إلى عطف المفردات، وبيان أدوات العطف ومعانيها، منها ما ذكره في (باب ما اشترك بين الاسمين في الحرف الجار فجريا عليه) "وذلك قولك:"مررت برجل وحمار قبل...فالواو تجمع هذه الأشياء على هذه المعاني، فإذا سمعت المتكلم يتكلم بها أجبته على أيّها شئت؛ لأنها قد جمعت هذه الأشياء ...ومن ذلك قولك : مررتُ بزيد فعمرو ... فالفاء اشركت بينهما في المرور، وجعلت الأول مبدوء به، ومن ذلك: مررتُ برجل ثم امرأة ، فالمرور ههنا مروران، وجعلت ثم الأول مبدئا به وأشركت بينهما في الجر ..."[1] يوضح أن عطف المفرد على الآخر دليل على إشراك الثاني للأول في حكم وإعرابواحد،كما يبرز القيمة البلاغية للواو وبقية حروف العطف التي تحمل عديد المعاني ،فالواو تأتي للجمع والترتيب ،و(الفاء) تفيد التعقيب والسرعة ، و(ثم) للترتيب مع التراخي، و(أو) للتخيير أو التسوية، و(بل) للإضراب و(لكن) للاستدراك بعد النفي.

[1]- أحمد سعد مُحَمَّد ، الأصول البلاغية في كتاب سيبويه وأثرها في البحث البلاغي ، ص 138

وفيما يخص وصل الجمل، فقد اهتم سيبويه بوصل المفردات ولم يكترث كثيرا لعطف الجمل بعضها على، جريا وراء مقولة التشريك الإعرابي في عطف المفردات، التي اتخذت أساسا لعطف الجمل ووصلها عند البلاغيين، بالإضافة إلى مقولة الجامع بين الجمل[1].

إذا كان لصاحب الكتاب الفضل في الإشارة لتلك التراكيب النحوية، فإن الجرجاني قد اهتدى بفكره المشرق و ذوقه الحسي الرفيع أن يكشف عمّا تحمله هذه التراكيب من أسرار بلاغية وخفايا نفسية، وأن يسلط الضوء على مختلف جوانبها وما يستتبعها من دلالات خفية هي وليدة السياق والمعنى.

وبالنظر إلى نظرية الحجاج نجد أن بيرلمان قد تعرض لطرائق الوصل والفصل، انطلاقا من جعله للحجاج دراسة مجموعة التقنيات التي تساهم في الإقناع، "فالحجج القائمة على الوصل، وهي التي تمكن من نقل القبول الحاصل حول المقدمات إلى النتائج، والثاني هو الحجج القائمة على الفصل، وهي التي تسعى إلى الفصل بين عناصر ربطت اللغة أو إحدى التقاليد المعترف بها بينها"[2]

[1]- – ينظر: المرجع نفسه ،ص 142

[2]- عبد الله صولة ، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، ص 57

أما لسانيات نحو النص فقد اهتمت بالربط بأحرف العطف واتّخذته من أبرز أدوات التماسك النحوي في الدرس التداولي الحديث، حيث صنّفت **رقية حسن** مع **هاليدي** كتابا حول التماسك في الإنجليزية عام1976 أضافا فيه إلى القواعد والأمثلة والمفاهيم عددا آخر، ولعالم اللغة الهولندي **فان ديك** فضل السّبق في ربط التماسك النحوي بالسياق في غير كتاب[1] ومن هنا بات من الواضح أنه كانلفكر الجرجاني الأثر البليغ في مختلف البحوث والدراسات المعاصرة، إلاّ أن مؤلفات التراث لم تجد الاهتمام البالغ، إلاّ حينما قام بعض الدارسين بإسقاط النظريات الغربية الحديثة التي كشفت عن كثير من النظريات العربية في التراث الذي ظلّ حبيس رفوف المكتبات. ولذلك نعدّ أن دراستنا المتواضعة تكون قد كشفت عن بعض القضايا اللسانية والحجاجية التداولية في كتاب (دلائل الإعجاز) للإمام عبد القاهر الجرجاني، ولا ندّعي الكمال بل إنّنا ندعو كل متلق لبحثنا هذا إلى إعادة قراءة التراث بمنظور حديث وجديد.

وعلى الجملة، فقد تناولنا في هذا الفصل –الذي عنوناه بمظاهر الحجاج في كتاب دلائل الإعجاز – أهم المظاهر اللغوية وهي كثيرة، ولكننا اقتصرنا على التقديم

[1]– ينظر: ابراهيم محمود خليل ، في اللسانيات ونحو النص ، ص 223

والتأخير، الحذف، الفصل والوصل .وذلك أنّ البحث في كل المظاهر يستدعي بحثا معمّقا، قد يستغرق زمنا أطول، لا يكفيه سداسي واحد في مستوى الماستر02 .

ولقد توصل البحث في هذا الفصل إلى ما يلي:

***مصوّغات تقديم النكرة على الفعل أو تقديم الفعل عليها:**

- لاسم النكرة يحمل مدلولاته السياقية بناء على رتبته في التركيب فتقديمه تلو همزة الاستفهام أو تأخيره يفيد القصد إليه من السائل.

- للنكرة أغراض بلاغية يومئ بها المتكلم للدلالة على معنى الجنس والعدد وغيرها.

- تقوم نظرية النظم على نظام الكلمات وترتيبها في النفس أولا ثم في النطق.

- تخضع عناصر الجملة لترتيب وفق ما تقتضيه مقاصد المتكلم وأغراضه ، فلا تقديم ولا تأخير إلاّ لغايات وأهداف معينة.

- تغيير رتبة الكلمات هو أحد عوامل الربط والتماسك الشديد بين وحدات النص.

***مصوّغات الحذف:**

- للحذف أسرار بلاغية وله مواضعه ومقاماته ولا يكون إلاّ بتوفر الدلائل الحالية والمقالية.

- يخضع الحذف لمقاصد المتكلم؛لأنه يلجأ للتخلي عن عناصر داخل التركيب ليُقْبَل كلامه

- للحذف صلة وطيدة بالأثر النفسي للمخاطَب وذوقه وحسّه وتقديره لذلك الحذف.

- الحذف من أدوات الربط وقواعد التماسك النحوي التي توصل إليها أحدث علماء اللسانيات أمثال هاليدي ورقية حسن.

***مصوّغات الفصل والوصل:**

- الفصل والوصل من أسرار البلاغة وحدودها التي جُبِل عليها أهل البلاغة من البدو.

- يخضع الفصل والوصل لغرض المتكلم ومراده من الخطاب.

- حُددت مواضع الفصل والوصل على أساس نحوي تمثل في العطف.

– حروف العطف خاصة الواو من الروابط الحجاجية المهمة التي تساهم في نسج أجزاء النص وتحقيق وحدته الدلالية وانسجامه.

– يؤدي الفصل والوصل إلى تحقيق التماسك النصي والاتساق باعتباره أحد المعايير التي تشد أواصر النص ليكون كيانا متماسكا كما ترى نظريات لسانيات النص الحديثة.

خاتمة

وبعد هذا الجهد المضني لمحاولة جمع كلّ ما خطّطنا له خدمة لبحثنا، فقد توصّلنا إلى النتائج التالية:

- تجسدت نظرية النظم في انتقاء الألفاظ التي تشكل شبكة من علاقات معنوية تسير وفق نظام يخضع لمعاني النحو وأصوله من جهة ولأغراض المتكلم ومقاصده من جهة أخرى.

- التقديم والتأخير مع الاستفهام بالهمزة، والحذف، والفصل والوصل من أسس البلاغة العربية ومن القواعد التداولية التي اهتم بتحليلها الجرجاني وتفطن إلى ربطها بالغاية من الخطاب،وهذا دليل على ما يُعد اليوم جوهر النظرية القصدية في اللسانيات التداولية الحديثة.

- اعتنى الجرجاني بالسياق واعتبره أساس التواصل لما له من أثر في تحديد الدلالة والمعنى المقصود، واتخذه وسيلة لإثبات سرّ الإعجاز في النصوص القرآنية.

- تعمّق في دراسة مراحل إنتاج الخطاب محاولا تحليل كيفية إنتاجه وبنائه مركزا على أقطاب العملية التخاطبية ، محددا أدوارهم ومراتبهم في أفعال الكلام.

- لجأ إلى المجاز بكل أنواعه من تشبيه واستعارة وكناية وتمثيل كونها تراكيب حجاجية وآليات بلاغية تحمل معاني مضمرة ودلالات خفية يُلمّح بها المتكلم عن مُراده مما يفرض على المستمع التفطن واستقصاءها بحسب الموقف الذي قيلت فيه.

- استعان بأدوات الاتساق والتماسك النصي من تقديم وتأخير وحذف وفصل ووصل وظهرت جهوده في تبيان قيمتها في النظم، وقد أضحت اليوم هذه الأدوات تمثل دعامة أساسية من دعائم اللسانيات النصية.

- اعتمد على إستراتيجية الحوار والإقناع وإقامة الحجج والبراهين ،وذلك بهدف استدراج مخالفيه والتأثير فيهم للتخلي عن ادعاءاتهم الخاطئة،وسعيا للدفاع عن قضيته وخدمة لدينه وعقيدته.

- عمّق الجرجاني النظر في التراكيب العربية والأساليب القرآنية ،وحلّل مسائل الاستفهام والأمر والنهي والتحذير باعتبارها من الآليات اللغوية التي تساهم بشكل فعال في توجيه الخطاب، وهو ما حاول تحقيقه من خلال طرحه، ساعيا لتعديل سلوكات الناس وتغيير وجهات نظرهم.

قائمة المصادر والمراجع

1- المصادر والمراجع

- القرآن الكريم رواية ورش عن نافع

- أبو الوليد الباجي، المنهاج في ترتيب الحجاج ، تح: عبد المجيد التركي ، دار الغرب الإسلامي، ط2 ، المغرب1987

- إبراهيم محمود خليل، في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردنط3، 2015

-ابن قتيبة، تلقين المتعلم من النحو، تح مُحَّد سلامة الله مُحَّد هداية الله، جامعة أم القرى، السعودية، 1986، ط1

- أبو الحسن العسكري، الصناعتين ، دار الحياء للكتب العربية ، 1952

- أبو الحسين أحمد ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامهم ، تحقيق مصطفى الشويمي ،بيروت ، 1964

- أبو العباس مُحَّد بن يزيد المبرد ، المقتضب ، تح: مُحَّد عبد الخالق أو عضيمة، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة ،1994 ،ط1، ج 4

- أبو الفتح عثمان ابن جني ، اللمع في العربية ، تح: سميح أبو مغلي ،دار مجدلاوي للنشر، عمان، 1988

- أبو القاسم الزجاجي،الجمل في النحو، تحعلي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، دار الأمل ، ط1، 1984

- أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر سيبويه، ، الكتاب ،ج2، تحقيق و شرح عبد السلام مُحَّد هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان

- أبو بكر مُحَّد ابن السراج، الأصول في النحو ، تح: عبد الحسين الفتلي مؤسسة الرسالة، بيروت ، ج1 ، ط3

- أبو عثمان عمر الجاحظ ، البيان والتبيين ، تح عبد السلام مُحَمَّد هارون،ج1 ،ط7 ،مكتبة الخانجي للنشر، القاهرة، 1998

- أبو يعقوب السكاكي ، مفتاح العلوم ، تح: نعيم الزرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1991 ، ص258

- أحمد درويش ،دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث،دار غريب للطباعة والنشر ،القاهرة ،(دط) ،(دت)

- أحمد سعد مُحَمَّد، الأصول البلاغية في كتاب سيبويه وأثرها في البحث البلاغي،مكتبة الآداب، القاهرة،ط2، 2009

- أحمد مختار عمر،علم الدلالة ،عالم الكتب، القاهرة، مصر ، 1998 ،

- أحمد مطلوب ، البلاغة والتطبيق ، وزارة التعليم العالي و البحث العلمي ، العراق، ط2، 1999

- الحسين بنوهاشم ، نظرية الحجاج عند شاييمبيرلمان ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت، لبنان ، 2014،

- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة ، تح إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، 2003 ط1

- الشهري عبد الهادي بن ظافر،استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية،دار الكتاب الجديد المتحدة،بيروت لبنان،2004

- الطلحي،ردة بن ردة بن ضيف الله ،دلالة السياق،ط1،معهد البحوث العلمية،جامعة أم القرى،مكة،2002 ،ص 167

- العياشي أدراوي ، لاستلزام الحواري في التداول اللساني ، ،بيروت ،الدار العربية للعلوم ،ط1 ،2011 ،

– المرتضى الشريف علي بن الحسن الموسوي العلوي، غرر الفوائد و ذرر القلائد المشهور بأماني المرتضى، تح مُحَّد أبو الفضل إبراهيم ، بيروت، دار الكتاب العربي ، ط2، المجلد 2، 1968

– تمام حسان ،مقالات في اللغة والأدب ،عالم الكتب ،القاهرة ،ج2 ،ط1 ،2006

– تمام حسّان،اللغة العربية معناها ومبناها،دار الثقافة ، المغرب ، 1994 ط1

– تمام حمد عبد المنيزل، الحذف في النحو العربي ، حمادة للنشر و التوزيع بالاشتراك، ط 1، الأردن، 2012 ،

– جميل حمداوي،من الحجاج إلى البلاغة المعاصرة،مكتبة الأدب المغربي،إفريقيا الشرق،المغرب،2014

– حافظ اسماعيلي علوي ، الحجاج مفهومه ومجالاته ، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة ن ج4

– خليفة بوجادي ،في اللسانيات التداولية ،بيت الحكمة للنشر والتوزيع ،ط1، 2009

– ذهبية حمو الحاج،لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب،الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو،2012

– سالم شاكر، مدخل إلى علم الدلالة، ترجمة مُحَّد لحياتن،ديوان المطبوعات الجامعية ن الجزائر ، 1995

– سعيد حسن بحيري ،دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة ،مكتبة الآداب للنشر،القاهرة، 2005

– صفي الدين الحلي،شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع، تح: النسيب نشاوي، دار صادر، بيروت، ط1، 1982.

– صلاح فضل،بلاغة الخطاب وعلم النص،مكتبة لبنان ناشرون،الشركة المصرية العالمية للنشر،ط1 ،بيروت، الجيزة 1996

– طه عبد الرحمان– اللسان والميزان أو الكوثر العقلي–ط01 – المركز الثقافي– الدار البيضاء– المغرب1998

– طه عبد الرحمن ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ، ط3، 2007

– عبد الرحمن ابن خلدون ، المقدمة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان،ط1، 1993 ،

– عبد السلام المسدي ،اللسانيات وأسسها المعرفية ،المطبعة العربية ،تونس ،دط ،1986

– عبد الفتاح لاشين، التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني، دار المرين للنشر، الرياض، المملكة السعودية ،1980

– عبد القاهر الجرجاني،أسرار البلاغة،قرأه وعلق عليه محمود أحمد شاكر،مطبعة المدني ،القاهرة،مصر

– عبد القاهر الجرجاني،دلائل الإعجاز،تحقيق مُحَمَّد رشيد رضا،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية (موفم للنشر)،الجزائر،1991

– عبد الله بن مُحَمَّد خفاجي ، سر الفصاحة ، دار الكتب العلمية ، ط1، بيروت، لبنان، ،1988

– عبد الله صولة ، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات ، مسكيلياني للنشر، تونس ،ط1 ، 2011

– عبد الله صولة،الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ،منشورات كلية الآداب والفنون والإنسانيات ،ط1 ،تونس ،2001

– مُحَمَّد سالم مُحَمَّد الأمين طلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1 ، لبنان، 2008

– مُحَمَّد طروس ، النظرية الحجاجية ، دار الثقافة ، المغرب ، ط1 ،2005

– محمود مُحَمَّد عيسى،السياق الأدبي ،دراسة نقدية تطبيقية،دمياط،جامعة المنصورة ، ط1، القاهرة ، مصر ،2004

– مسعود صحراوي ،التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الافعال الكلامية في التراث اللساني العربي ،دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ،لبنان ،ط1 ،2005

– منقور عبد الجليل،علم الدلالة،أصوله ومباحثه في التراث العربي،اتحاد الكتاب الغربيين دمشق،2001

2- القواميس والمعاجم

ا- القواميس والمعاجم بالعربية

– أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ، كتاب العين، ، تح عبد الحميد هنداوي، ط1 ،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 2003

– ابن منظور أبو الفضل مُحَمَّد بن جلال الدين بن مكرم الأنصاري، لسان العرب ، دار صادر، بيروت ، لبنان ط1، 1997

– أبو الحسين أحمد بن فارس ، مقاييس اللغة ، تح: عبد السلام مُحَمَّد هارون ،دار الفكر ، بيروت ، لبنان، ج2 ،1979

– أبو بكر مُحَمَّد بن الحسن ابن دريد الأزدي ، جمهرة اللغة ، مكتبة المثنى ، بغداد ، 1924،

-اسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق: إميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية ، ط1، بيروت، لبنان، 1999

- أبو القاسم جار الله الزمخشري ، أساس البلاغة ، تح: عبد الرحيم محمود ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط1، 1998،

- أبو طاهر مجد بن مُحَّد الشيرازي الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تح: مُحَّد نعيم العرقوسي، مؤسسة الرسالة، ط8، 2005

- الحسيني الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1984،ج31 ،مادة (وصل)

ب- القواميس والمعاجم الأجنبية

- Le grand Robert. dictionnaire de la langue française . Paris .1989.

- Longman .dictionary of contenporary English. longman.1989

3- المجلات والدوريات

- عالية زروقي، اللسان العربي، دورية متخصصة محكمة ،جامعة الدول العربية، مطبعة ومكتبة الأمنية، الرباط

– يحي أحمد .، الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة ،مجلة عالم الفكر ،بيروت،م2،ط3 ، 1989

4- الرسائل الجامعية

- عبد الرحمن بشلاغم، تجليات مفاهيم التداولية في التراث العربي تفسير فخر الدين الرازي لسورة" المؤمنون" أنموذجا ، مذكرة ماجستير في اللسانيات العامة ،جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، 2014

- غدير أحمد بني حمدان ،أثر عبد القاهر الجرجاني في الدراسات البلاغية الحديثة،رسالة ماجستير،الجامعة الأردنية،2006

5- المواقع الالكترونية

-أحمد محمود سعيد أبو دنيا،الفكر اللغوي عند عبد القاهر الجرجاني، شبكة الألوكة https://www.alukah.net

-حياة درويش، نظرية النظم عند الجرجاني: معناها ومبناها، https://www.inst.at/trans/23/

- مُحَمَّد لميم مقرود ، معنى المعنى عند عبد القاهر الجرجاني –دراسة تداولية https://www.asjp.cerist.dz

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

مقدمة .....أ

مدخـل: الحجاج حدود ومفاهيم.....2

– الحجاج عند العرب قديما.....9

– الحجاج عند العرب حديثا.....12

– الحجاج عند الغرب قديما.....14

– الحجاج عند الغرب حديثا.....17

الفصـل الأول: نظرية النظم لعبد القاهر الجرجاني أسسها و أركانها 24

– اللفظ والمعنى.....26

– السياق والمقام.....33

– معنى المعنى.....40

– الاستلزام الحواري ومعنى المعنى.....54

– النظم والتأليف.....55

الفصـل الثانـي: مظاهر الحجاج في كتاب دلائل الإعجاز.....63

– حجية تقديم النكرة على الفعل أو تقديم الفعل عليها.....66

– التقديم والتأخير عند نوام تشومسكي.....77

- حجية القول في الحذف.....79

- الحذف ومتضمنات القول.....96

- حجية القول في الفصل والوصل.....101

خاتمة 102

قائمة المصادر والمراجع..... 102

فهرس

المحتويات.....

Erreur ! Signet non défini.